الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح .ورقلة

كلية الآداب واللغات

اللغة والأدب العربي

جماليات الصور المكانية و أبعادها في مدائح ابن الخلوف القسنطيني

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: الأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة) : خديجة شويحة

إشراف: أ. د. نجلاء نجاحي

لجنة المناقشة

أعضاء اللجنة	الرتبة العلمية	الصفة	الجامعة
أحمد بقار	أستاذ	رئيسا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
نجلاء نجاحي	أستاذ	مشرفا ومقررا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة
أحلام بن الشيخ	أستاذ	مناقشا	جامعة قاصدي مرباح ورقلة

السنة الجامعية : 2026م/1447هـ

ذو القعدة 1447هـ / الموافق لـ : أفريل 2026م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهداء

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، والذي وفقني لإتمام هذا العمل ، أهدي ثمرة جهدي وتعب سنواتي:

إلى من كانا سبب وجودي ونجاحي، إلى من غرسا فيَّ الأمل والثقة، إلى من سهرا وتعبا من أجل أن أصل إلى هذا اليوم،

إلى أعزّ الناس على قلبي، أبي الغالي وأمي الحبيبة، حفظهما الله وأدامهما تاجًا فوق رأسي.

إلى زوجي العزيز، سندي ورفيق دربي، الذي كان دعمه وتشجيعه مصدر قوة لي في كل خطوة، فكان خير معين وخير شريك.

إلى نفسي، التي صبرت واجتهدت ولم تستسلم رغم كل الصعوبات، وأثبتت أن وراء التعب نجاحًا يستحق الفخر.

إلى كل من وقف إلى جانبي بكلمة طيبة أو دعوة صادقة، وإلى كل أساتذتي الأفاضل الذين أناروا لي طريق العلم والمعرفة.

أهديكم هذا العمل المتواضع، راجيةً من الله أن يجعله بدايةً لنجاحات أكبر في المستقبل.

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل، وأعانني على تجاوز الصعوبات، فله الحمد أولاً وآخرًا.

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذتي المشرفة الدكتورة الكريمة نجاحي نجلاء، على ما قدمته لي من توجيهات قيّمة ونصائح سديدة، وعلى صبرها وحرصها ومتابعتها المستمرة طوال إنجاز هذه المذكرة، فجزاها الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى أصدقائي وزملائي الذين كانوا سندًا لي، ورافقوني بالدعم والتشجيع والكلمة الطيبة خلال مشواري الدراسي.

ولا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من كانت له يدُ مساعدة، من قريب أو بعيد، وساهم ولو بالقليل في إنجاز هذا العمل.

وفي الأخير، أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما فيه الخير والنجاح.

الملخص :

تتناول الدراسة موضوع "جماليات الصور المكانية في ديوان ابن الخلوف القسنطيني: جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين". وتهدف إلى استنطاق الصورة المكانية بوصفها عنصراً فنياً جوهرياً في شعر المديح النبوي المغاربي خلال العصر الحفصي، معتمدةً في ذلك على المنهجين الأسلوبي والظاهراتي، ومتخذةً من الوصف والتحليل آليات إجرائية لتفكيك بنية النصوص والكشف عن دلالاتها. وقد بيّن البحث من خلال مساريه النظري والتطبيقي أن الشاعر قد وظّف المكان عبر ستة أبعاد كبرى متداخلة تشمل: البعد الديني (كالأماكن المقدسة والحرمين)، والتاريخي (كمواقع الغزوات والأمم البائدة)، والميتافيزيقي الغيبي (كالجنة والمعراج)، والتخيلي (عبر تشخيص الطبيعة)، والنفسي (كمرآة للحنين والصراعات الداخلية)، والاجتماعي والسياسي (كرمز للهوية الثقافية وتوجيه النصح في العهد الحفصي). لتخلص الدراسة في نهايتها إلى إثبات براعة ابن الخلوف في خلق تكرار إيقاعي متقن والمزج بين الواقع المادي والخيال الشعري، وتطويع الفضاء المكاني لخدمة أغراض وجدانية ودينية وسياسية؛ مما يجعل ديوانه نموذجاً رائداً يعكس ثراء التصوير الفني في الشعر الديني المغاربي.

الكلمات المفتاحية :جماليات الصورة المكانية، ابن الخلوف القسنطيني، المديح النبوي ، الشعر الديني المغاربي، التحليل الأسلوبي.

Summary

The study addresses the topic of "The Aesthetics of Spatial Images in the Diwan of Ibn al-Khaluf al-Qasantini: Jana al-Jannatayn fi Madh Khayr al-Fariqatayn". It aims to examine the spatial image as a fundamental artistic element in Maghrebi prophetic praise poetry (Madih Nabawi) during the Hafsid era. To achieve this, the research relies on stylistic and phenomenological approaches, utilizing description and analysis as procedural tools to deconstruct the structure of the texts and reveal their underlying meanings. Through its theoretical and applied frameworks, the research demonstrates that the poet employed space across six major, overlapping dimensions: the religious (such as holy sites and the Two Holy Mosques), the historical (such as battlefields and bygone nations), the metaphysical/unseen (such as Heaven and the Ascension/Mi'raj), the imaginative (through the personification of nature), the psychological (as a mirror for nostalgia and internal conflicts), and the socio-political (as a symbol of cultural identity and a medium for advice during the Hafsid era). Ultimately, the study concludes by proving Ibn al-Khaluf's mastery in creating a meticulous rhythmic repetition and seamlessly blending material reality with poetic imagination. By adapting spatial dimensions to serve emotional, religious, and political purposes, his Diwan stands as a pioneering model that reflects the richness of artistic imagery in Maghrebi religious poetry.

Keywords: Aesthetics of spatial imagery, Ibn al-Khaluf al-Qasantini, Prophetic praise poetry (Madih Nabawi), Maghrebi religious poetry, Stylistic analysis.

الفهرس:

المحتويات	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
الملخص	
الفهرس	
المقدمة	أ
الفصل الأول: حدود مصطلح المكان وبيئته في الشعر الديني	1
1.مفهوم المكان والفضاء: مقاربة لغوية واصطلاحية	4
1.1.التعريف اللغوي للمكان	4
2.1.الإطار الزمكاني	9
2.المكان في الشعر الديني: قراءة تاريخية	10
1.2.نشأة المكان في القصيدة الدينية	10
2.2.تطور المكان في الشعر الصوفي والمدائح النبوية	12
3.2.خصوصية المكان في الشعر الديني المغربي العربي	15
4.2.توظيف المكان في المدائح النبوية بين الديني والسياسي	17
أولًا: السياق العام للشعر الديني في الجزائر	17
ثانيًا: ابن الخلوف القسنطيني في سياق الدولة الحفصية	18

ثالثًا: توظيف المكان لخدمة أغراض دينية وسياسية	20
الأغراض السياسية	20
3.المكان ودلالاته في الشعر الديني: ثنائيات وعلاقات	22
1.3.ثنائية العلو والسفل (السماء والأرض)	23
2.3.ثنائية المركز والهامش (القداسة والدنياوية)	24
3.3.المكان بين الحقيقة والمجاز (التشبيه والرمز)	25
4.آليات تشكل الصورة المكانية: الوظيفة الجمالية والدلالية	26
1.4.آليات التشكيل الفني للمكان	26
2.4.الأبعاد الدلالية للصورة المكانية	27
3.4.العلاقة بين المكان والممدوح (النبي) في المديح النبوي	28
الفصل الثاني: جماليات الصور المكانية وأبعادها في ديوان ابن الخلوف القسنطيني	30
1.أنماط الصورة المكانية في ديوان *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*	31
1.1.المكان المقدس	32
أولًا: مكة المكرمة	33
ثانيًا: المدينة المنورة	34
ثالثًا: غار حراء	35
رابعًا: المسجد الحرام والمسجد النبوي	37
1.2.المكان التاريخي	38
أولًا: بدر	38

ثانيًا: أُحد	39
ثالثًا: غار حراء	40
1.3.المكان الأخروي	41
أولًا: الجنة	42
ثانيًا: النار	43
ثالثًا: القبر والصراط والحوض	44
2.دلالات الصورة المكانية في ديوان *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*	45
2.1.الدلالة الدينية	46
2.2.الدلالة التاريخية	46
2.3.الدلالة النفسية	47
2.4.الدلالة الجمالية	47
3.آليات بناء الصورة المكانية في ديوان *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*	48
3.1.التشبيه والاستعارة في تشكيل المكان	48
3.2.الرمز المكاني	49
3.3.التكرار وأثره في بناء الصورة المكانية	49
3.4.التناص مع القرآن الكريم والسيرة النبوية	50
خاتمة الفصل	51
الخاتمة	52
قائمة المصادر والمراجع	57

المقدمة

حظيت الصورة الفنية بمكانة بارزة في الدراسات الأدبية والنقدية القديمة والحديثة، لما تؤديه من دور أساسي في تشكيل الخطاب الشعري وإبراز طاقاته التعبيرية والجمالية. فهي ليست مجرد وسيلة لتزيين المعنى، وإنما تعد أداة فنية تسهم في بناء الرؤية الشعرية وتجسيد التجربة الإنسانية في صور حسية ورمزية قادرة على التأثير في المتلقي وإثارة استجابته الوجدانية والفكرية. وقد أولى النقاد العرب القدماء اهتماماً كبيراً بالصورة وما يتصل بها من وسائل البيان والتخييل، كما توسعت الدراسات النقدية الحديثة في تناولها من زوايا متعددة، منها البنيوية والسيميائية والأسلوبية والجمالية.

ويعد المكان من أهم العناصر التي تسهم في بناء الصورة الشعرية؛ إذ لا يظهر في النص الأدبي باعتباره حيزاً جغرافياً فحسب، بل يتحول إلى عنصر فني ودلالي يختزن قيماً دينية وتاريخية ونفسية وثقافية متعددة. لذلك أصبح المكان من المفاهيم النقدية التي استقطبت اهتمام الباحثين في الأدب الحديث، لما يؤديه من دور في تشكيل الرؤية الشعرية وإنتاج المعنى. وقد أشار غاستون باشلار إلى أن المكان لا يمثل إطاراً خارجياً للأحداث، بل يشكل فضاءً حاملاً للذاكرة والوجدان والخيال، بما يمنحه حضوراً مؤثراً في التجربة الأدبية .

وانطلاقاً من هذا التصور، تتناول هذه الدراسة «جماليات الصور المكانية وأبعادها في مدائح ابن الخلوف القسنطيني»، إذ يقوم العنوان على ثلاثة مفاهيم رئيسة هي: الجماليات، والصور المكانية، والأبعاد. فالمقصود بالجماليات الخصائص الفنية التي تمنح النص الشعري قيمته الإبداعية وتأثيره الفني، من خلال ما تتضمنه الصور من تشبيهات واستعارات ورموز وتكرارات وعلاقات إيقاعية. أما الصور المكانية فهي الصور الشعرية التي يتخذ فيها المكان وظيفة فنية تتجاوز بعده الواقعي إلى أبعاد رمزية ودلالية مختلفة. في حين يقصد بالأبعاد مختلف المعاني والدلالات التي تنتجها هذه الصور داخل النص الشعري وتسهم في بناء رؤيته الفنية .

ويكتسب موضوع الدراسة أهميته من ارتباطه بالمديح النبوي الذي يعد أحد أبرز الأغراض الشعرية في التراث العربي الإسلامي، لما يحمله من قيم دينية وروحية وجمالية. كما تبرز أهمية الدراسة من خلال سعيها إلى الكشف عن كيفية توظيف المكان داخل الخطاب الشعري

عند ابن الخلوف القسنطيني، وبيان الأبعاد الجمالية والدلالية التي يكتسبها في سياق التعبير عن المحبة النبوية والتجربة الروحية للشاعر.

وقد وقع الاختيار على ديوان «جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين» المعروف أيضاً بـ«ديوان الإسلام»، لما يتضمنه من حضور مكثف للصور المكانية المرتبطة بالأماكن المقدسة والفضاءات التاريخية والرمزية، وما تتيحه هذه الصور من إمكانات تأويلية وجمالية جديرة بالدرس والتحليل.

بنيت هذا الاختيار على دوافع موضوعية وأخرى ذاتية:

أ- الدوافع الموضوعية:

- ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الديوان بالتحليل والدرس، خاصة من زاوية المكان، رغم ما يحتويه من ثروة تصويرية مكانية فريدة.
- أن الشعر الديني المغاربي، الذي ينتمي إليه ابن الخلوف، لا يزال حقلاً خصباً يحتاج إلى مزيد من البحث والتنقيب.

ب- الدوافع الذاتية:

- ميولي البحثية نحو المديح النبوي بوصفه جنساً أدبياً متميزاً.
- رغبتي في الكشف عن خصوصية التجربة الشعرية المغاربية في هذا المجال مقارنة بنظيرتها المشرقية.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الغايات، أبرزها:

1. تحليل المعالم المكانية المختلفة الواردة في الديوان، وتصنيفها وفق أنماطها المتعددة (الدينية، التاريخية، الميتافيزيقية، التخيلية، النفسية، الاجتماعية).
2. كشف الأبعاد الدلالية والجمالية التي تحملها هذه الصور.

3. بيان كيفية توظيفها في خدمة الغرض الرئيسي من الديوان، ألا وهو المديح النبوي الشريف.

4. رصد العلاقة بين المكان والإيقاع من خلال ظاهرة التكرار المكاني في النصوص.

تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول السؤال الرئيسي الآتي:

كيف تشكلت الصور المكانية في ديوان "جنى الجنتين" لابن الخلوف القسنطيني، وما الأبعاد الجمالية والدلالية التي تحملها في سياق المديح النبوي؟

وينبثق من هذا السؤال المحوري أسئلة فرعية عدة، منها:

- ما مصادر الصور المكانية في الديوان؟
- ما أنواعها وتصنيفاتها؟
- ما الآليات البيانية التي تشكلت من خلالها الصور المكانية، والمتمثلة في تشخيص الطبيعة، والتكرار، والاستعارة؟
- كيف أسهم تكرار الصور المكانية في بناء الإيقاع الداخلي والخارجي للنصوص؟
- ما العلاقة بين المكان والحالة النفسية للشاعر؟
- كيف عكس المكان الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع الحفصي في تونس؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدت الدراسة المنهج الجمالي للكشف عن الخصائص الفنية التي تميز الصور المكانية في الديوان، كما استعانت ببعض مبادئ سيمياء الدلالة عند غريماس للكشف عن المعاني التي تنتجها هذه الصور داخل البنية النصية، مع توظيف آليتي الوصف والتحليل في قراءة النماذج الشعرية واستنطاق أبعادها الجمالية والدلالية .

أما الدراسات السابقة، فقد تم الرجوع إلى عدد من البحوث والرسائل الجامعية التي تناولت الصورة الفنية والصورة الشعرية في الأدب العربي، ومن أبرزها: دراسة صباح لخضاري الموسومة بـ «بلاغة النص الشعري: الصورة الشعرية»، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2011، ودراسة بريك خيرة الموسومة بـ «الصورة الفنية في شعر البحتري»، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2017، ودراسة بلمكي عمارة الموسومة بـ «الصورة الشعرية عند ابن عبد ربه الأندلسي»، رسالة ماستر، المركز الجامعي مغنية، 2016. وقد أفادت هذه الدراسات في بناء الإطار النظري للبحث، وضبط مفاهيم الصورة الشعرية وآليات تشكلها ووظائفها الجمالية والدلالية، غير أن الدراسة الحالية تختلف عنها؛ إذ تتجه إلى معالجة الصور المكانية في ديوان ابن الخلوف معالجةً تطبيقية، من خلال التركيز على آليات تشكلها وأبعادها الجمالية والدلالية.

واعتمدت الدراسة المنهج الجمالي بوصفه المنهج الرئيس، مع الاستعانة ببعض مبادئ سيمياء الدلالة عند غريماس للكشف عن الدلالات التي تنتجها الصور المكانية داخل البنية النصية، وتوظيف آليتي الوصف والتحليل في قراءة النماذج الشعرية واستجلاء أبعادها الفنية والجمالية.

وحرصت على الاطلاع على ما كُتب حول ابن الخلوف والشعر الديني المغاربي عمومًا، وقد تبين من خلال استقراء المصادر والمراجع وفهارس الرسائل الجامعية أن الدراسات الأكاديمية التي تناولت ابن الخلوف ما تزال محدودة، إذ انصرف معظمها إلى التعريف بحياته وآثاره أو تحقيق بعض نصوصه، في حين ندر تناول ديوانه بالدراسة النقدية التحليلية، ولا سيما من زاوية الصورة المكانية وآليات تشكلها وأبعادها الجمالية والدلالية. كما اطلعت على بعض الدراسات التي تناولت الصورة الشعرية في قصائد المديح النبوي المشرقية، إلا أنها لا تكشف خصوصية التجربة الشعرية المغاربية. ومن ثم، تتمثل الفجوة البحثية في غياب دراسة مستقلة تعالج الصور المكانية في ديوان ابن الخلوف، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى تحقيقه من خلال تقديم قراءة نقدية تطبيقية تكشف عن خصوصية توظيف المكان في المديح النبوي المغاربي.

تنحصر حدود هذه الدراسة فيما يأتي:

- **الحدود الموضوعية:**

تقتصر هذه الدراسة على تحليل الصور المكانية في ديوان «جنى الجنتين في شرف المحبوب سيد الكونين» لابن الخلوف، من خلال الكشف عن آليات تشكلها وأبعادها الجمالية والدلالية، دون التوسع في الجوانب التاريخية أو السيرية المتعلقة بالشاعر.

- **الحدود الزمانية:**

تندرج هذه الدراسة في إطار العصر الحفصي، خلال القرن التاسع الهجري، وهو العصر الذي عاش فيه ابن الخلوف، وشهد ازدهارًا ملحوظًا للشعر الديني في بلاد المغرب الإسلامي.

- **الحدود المكانية:**

تتمثل في الفضاءات المكانية الواردة في ديوان ابن الخلوف، سواء أكانت أماكن واقعية أم مقدسة أم رمزية، دون التقيد بحدود جغرافية معينة، نظرًا إلى طبيعة الخطاب الشعري المدروس.

بنيت خطة هذه المذكرة على النحو الآتي:

أما خطة الدراسة، فقد اقتضتها طبيعة الموضوع، فجاءت مشتملة على مدخل نظري وفصلين، على النحو الآتي:

المدخل النظري: خُصص لتأصيل مفهوم المكان في الفكر العربي القديم والحديث، وبيان أنواعه، ومقارباته في النقد الأدبي المعاصر، مع إبراز خصوصية المكان في الشعر الديني.

الفصل الأول: تناول الصورة المكانية في المديح النبوي، من خلال بيان مفهومها، وآليات تشكلها، ومصادرها، وأبعادها الجمالية والدلالية.

الفصل الثاني: خُصص للجانب التطبيقي، وتناول دراسة الصور المكانية في ديوان ابن الخلوف، من خلال رصد المعالم المكانية وتصنيفها، وتحليل آليات تشكلها، والكشف عن أبعادها الجمالية والدلالية، وبيان أثر التكرار المكاني في بناء الإيقاع الشعري، مع تدعيم ذلك بنماذج مختارة من الديوان.

وفي ختام هذه الدراسة، أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة المشرفة، على ما أولتني من عناية علمية، وما قدمته من توجيهات سديدة وملاحظات منهجية قيمة كان لها بالغ الأثر في إنجاز هذه المذكرة وإخراجها في صورتها العلمية. كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بقبول مناقشة هذا العمل وتقويمه، وإثرائه بما يرونه من ملاحظات علمية. ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث، وساعدني بأي وجه من أوجه المساعدة، سائلاً الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء.

ورقلة في: 12 ذو القعدة 1447هـ

الموافق لـ: 30 أفريل 2026م

إعداد الطالبة: خديجة شويحة

الفصل الأول:

حدود مصطلح المكان وبيئته في الشعر الديني

1. مفهوم المكان والفضاء: مقاربة لغوية واصطلاحية.
2. المكان في الشعر الديني: قراءة تاريخية.
3. المكان ودلالاته في الشعر الديني.
4. آليات تشكل الصورة المكانية ووظائفها الجمالية والدلالية.

يمثل المكان أحد المقولات النقدية والجمالية الكبرى التي شغلت الدارسين قديمًا وحديثًا، ذلك أنه ليس مجرد وعاء جامد أو خلفية ثابتة للأحداث، بل هو عنصر فاعل في تشكيل الرؤية الفنية والأبعاد الدلالية للنص الأدبي؛ إذ يمتلك قدرة على التعبير عن الذات الإنسانية ومشاعرها وأفكارها وتصوراتها للكون والوجود. وإذا كان المكان بهذه الأهمية في الأدب عامة، فإن حضوره يتأكد في الشعر الديني عامة، وفي المديح النبوي خاصة، حيث تتحول الأمكنة المادية والحسية إلى رموز وإشارات تتجاوز بعدها الواقعي لتعبّر عن معانٍ دينية وتاريخية وروحية.

ففي المديح النبوي لا تكون مكة والمدينة مجرد مدينتين، ولا يكون الغار مجرد كهف، ولا بدر وأحد مجرد ساحات للمعارك، بل تغدو هذه الأمكنة أيقونات دينية تحمل في طياتها ذاكرة الأمة ووجدانها، وتصبح القصيدة رحلة مكانية يطوف فيها الشاعر بين هذه المعالم، يستنطقها، ويبثها أشواقه، ويعلّق عليها آماله في النجاة والشفاعة. ومن هنا تبرز أهمية دراسة الصورة المكانية في الشعر الديني عامة، لما تؤديه من وظائف دلالية وجمالية في بناء النص الشعري.

في هذا الفصل، تُقارب الدراسة مصطلح المكان من منظورات متعددة؛ لغوية، واصطلاحية، ونقدية، وفلسفية، ثم تتتبع حضوره وتطوره في الشعر الديني عبر العصور، مع التركيز على المدائح النبوية في الغرب الإسلامي، وصولًا إلى بيان الآليات التي تتشكل بها الصورة المكانية في هذا اللون الشعري، كالتشبيه والاستعارة والتكرار، والكشف عن أبعادها الدينية والنفسية والجمالية. ويُعد هذا الفصل مدخلًا نظريًا ومنهجيًا للدراسة التطبيقية، أما الفصل الثاني فيخصص للدراسة التطبيقية .

1. مفهوم المكان والفضاء: مقاربة لغوية واصطلاحية

1.1. التعريف اللغوي للمكان

تتنوع الألفاظ الدالة على المكان في اللغة العربية، ويتداخل معها مفهوم "الفضاء" و"الحيز" و"الموضع". وبالرجوع إلى المعاجم العربية القديمة، نجد أن جذر (ك و ن) هو الأصل الذي يشير إلى الوجود والثبات؛ إذ يقول ابن فارس: «الكاف والنون أصلٌ واحد يدل على وجود الشيء وثبوته»، ومن هذا المعنى اشتُقت ألفاظ مثل «الكينونة» و«المكان»."[1]

ويتضح من خلال هذا التعريف اللغوي أن العرب لم ينظروا إلى المكان باعتباره فراغًا محايدًا أو وعاءً جامدًا، بل ربطوه بفكرة الوجود والثبات؛ فعند الرجوع إلى جذر (ك و ن) نجد أن دلالته الأصلية تقوم على تحقق الشيء واستقراره، مما يجعل المكان شرطًا أساسيًا لوجود الأشياء وإدراكها. ومن ثم، تحمل لفظة المكان في بنيتها اللغوية بعدًا وجوديًا، ولا تقتصر على الدلالة المادية أو الهندسية فحسب، بل تمتد إلى فضاء دلالي تعكس فيه الذات الإنسانية تجربتها وعلاقتها بالعالم

ويُعرَّف المكان في اللغة بأنه «موضع كل شيء»، ويُطلق أيضًا على «الفراغ الحاوي للجسم». ويذكر الجوهري في الصحاح أن «المكان: الموضع، والجمع أمكنة»، كما يفرق بعض اللغويين

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، مادة (كون)، ج5، ص987.

بين «المكان» و«المكانة»، فالمكان يدل على الموضع، في حين تدل المكانة على المنزلة والقدر.[1]

وإذا كان "المكان" في اللغة يشير إلى الجهة والحيز المادي، فإن "المكانة" تنتمي إلى عالم القيم والمنزلة الاجتماعية أو الروحية. وهذا التفريق اللغوي دقيق وذو أثر بالغ في التحليل الأدبي، خاصة عند دراسة الشعر الديني أو المديح النبوي. ذلك أن الشاعر كثيراً ما يوظف ألفاظ "المكانة" للإشارة إلى منزلة الممدوح الرفيعة وقدره الرفيع لدى الله أو لدى الناس، بينما يوظف "المكان" للإحالة إلى المواقع الجغرافية أو المعالم الحسية. لذلك فإن الانتباه إلى هذا الفرق يساعد الدارس على كشف طبقات الدلالة في النص، ويمنعه من الخلط بين البعد المادي والبعد الرمزي للمكان.

أما "الفضاء" في اللغة فهو المكان الخالي الواسع، وهو "ما اتسع من الأرض". يذكر ابن منظور في لسان العرب: "الفضاء: السعة، ويفتح ويمد، والفَضاء: ما اتسع من الأرض، الواسع من الأمكنة"[2] , ويرى بعض الباحثين أن الفضاء هو "الامتداد المطلق" أما المكان فهو "الامتداد المحدد" أو "الجزء المعين من الفضاء"[3] .

[1] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، مادة (مكن)، ج5، ص2156.

[2] لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م، مادة (فضا)، ج15، ص128.

[3] جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر، عبد الله أبو هيف، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج27، ع1، 2005، ص121–138.

يتضح من النص اللغوي السابق أن "الفضاء" أوسع من "المكان" وأقل تحديداً. فالفضاء يدل على السعة والامتداد المطلق، بينما المكان يدل على جزء معين محدد من ذلك الامتداد. وهذا يعيدنا إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن المكان يرتبط بالوجود والثبات، في حين أن الفضاء يرتبط بالإمكان والاحتمال. وهكذا تتكامل دلالات الألفاظ لتقدم فهماً غنياً لمفهوم المكان في التراث اللغوي العربي.

يذهب النقاد المعاصرون إلى تمييز منهجي بين مفهومي "المكان" و"الفضاء". فالفضاء عندهم هو الإطار المحايد المجرد، بينما المكان هو الفضاء الذي اكتسب معنى من خلال العلاقات الإنسانية والمشاعر والأفكار. يوضح غاستون باشلار في "شاعرية المكان" أن المكان هو "مكان محبوب، مكان يتحقق فيه الإنسان الكائن، هو ملجأ الوجدان والذاكرة"[1] .

أما الفضاء فهو ما يمكن قياسه رياضيًا. وفي النقد الأدبي، يربط النقاد المكان بالشخصية والحدث، بل إن المكان قد يصبح هو الحدث نفسه. يرى الناقد صلاح فضل أن "المكان قد تحول في الشعر الحديث من مجرد ظرف مكاني (إطار) إلى قيمة جمالية ودلالية مركزية، بل قد يتصدر النص ويطغى على الجوانب الأخرى"[2]

الفضاء في الرياضيات قابل للقياس، أما في النقد الأدبي فالمكان ليس مجرد إطار ثابت، بل يرتبط بالشخصية والحدث. وقد يصل الأمر إلى أن يصبح المكان هو الحدث نفسه. ويؤكد

[1] شاعرية المكان، غاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1984، ص27.

[2] بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ط1، 1992، ص42.

الناقد صلاح فضل أن المكان تحول في الشعر الحديث من ظرف مكاني إلى قيمة جمالية مركزية، بل قد يتصدر النص ويطغى على العناصر الأخرى.

نميز إذن بين:

- **المكان الحسي (المادي)** :القابل للإدراك بالحواس، له موقع واتجاه وأبعاد (فوق، تحت، يمين، يسار)[1].
- **المكان النفسي (الوجداني)** :الذي يرتبط بمشاعر الفرد وأحاسيسه، فيصبح ضيقًا أو واسعًا بحسب الحالة النفسية[1] .
- **المكان الرمزي (الدلالي)** :الذي يتجاوز معناه الحرفي ليحيل إلى دلالات مجردة كالجنة والنار والجسد والروح[1] .

هذه التقسيمات ستفيدنا في تحليل صور ابن الخلوف، حيث ينتقل من المكان الحسي الملموس إلى رمزيات مكانية كبرى[1] .

أما التعريف الظاهراتي (الفينومينولوجي):

في منظور الجغرافيا الإنسانية، لا يمكن اختزال المكان في مجرد موقع أو نقطة على الخريطة، بل يُنظر إليه بوصفه شرطاً أساسياً للتجربة الإنسانية. فالإنسان يعيش وجوده في مكان، ويُطور في آن واحد حساً بالوجود داخل المكان وخارجه.

[1] صلاح فضل، بلاغة المكان، ص42.

تنطوي هذه التجربة على قدرة مزدوجة تتمثل في قدرة الإنسان على المشاركة في البيئة التي يعيش فيها، وقدرته في الوقت نفسه على ملاحظتها بوصفها كيانًا خارجيًا منفصلًا عنه. وبهذا المعنى، يغدو المكان نظيرًا للذات ومكوّنًا لهويتها؛ إذ تتشكل علاقة الإنسان بالعالم وبالآخرين من خلال التفاعل المستمر بين العناصر الذاتية والموضوعية داخل التجربة المكانية[1].

وانطلاقًا من هذا التصور، يمكن القول إن المكان لا يُنظر إليه بوصفه وعاءً خارجيًا محايدًا فحسب، وإنما باعتباره عنصرًا فاعلًا في تشكيل التجربة الإنسانية وبناء الهوية؛ إذ يكتسب دلالاته من خلال تفاعل الإنسان معه، كما يسهم في بناء علاقته بالعالم وبالآخرين.

[1] آن بوتيمر، «الزمان والمكان والعالم المعاش»، مجلة الفضاء الجغرافي، المجلد 8، العدد 4، 1979، ص243–254.

2.1. الإطار الزمكاني

لا ينفصل المكان عن الزمان في التحليل الأدبي، سواء في السرد أم في الشعر، إذ يشكلان معًا ما يُعرف بالإطار الزمكاني. ويرى النقاد أن العلاقة بينهما علاقة تكامل، فلا يُدرك المكان خارج امتداده الزمني، كما لا يُتصور الزمان بمعزل عن الحيز الذي تجري فيه الأحداث. وفي هذا السياق، يقول عبد الملك مرتاض: «الزمان هو حركة المكان، والمكان هو سكون الزمان، وهما معًا يصنعان إحساس الإنسان بالوجود»[1] .

ويبرز من هذا التصور أن المكان لا يؤدي وظيفته الدلالية منفردًا، وإنما يكتسب قيمته الفنية من ارتباطه بالزمن؛ فكل فضاء يستدعي زمنًا معينًا، وكل زمن يستحضر مكانًا يحتضن أحداثه ويمنحه دلالته.

وانطلاقًا من ذلك، يتخذ الزمان في الشعر الديني أبعادًا خاصة؛ فهو غالبًا ما يكون زمنًا استرجاعيًا يستحضر أحداث السيرة النبوية، أو زمنًا استشرافيًا يتطلع إلى اليوم الآخر وما يرتبط به من ثواب وعقاب. ومن ثم، يغدو المكان مشحونًا بدلالات زمنية تتجاوز حضوره المادي، فتلتقي فيه ذاكرة الماضي وتطلعات المستقبل.

ويتجلى ذلك في شعر ابن الخلوف، إذ يستدعي أمكنة مثل الغار وبدر وأحد، لتصبح فضاءات تستحضر أحداث السيرة النبوية، فيتداخل زمن الوقائع التاريخية مع زمن تلقي القصيدة، بما يضفي على الصورة المكانية عمقًا دلاليًا وجماليًا.[2]

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الشعرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص188.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية الشعرية، ص188.

2. المكان في الشعر الديني: قراءة تاريخية.

1.2. نشأة المكان في القصيدة الدينية

يرتبط ظهور المكان– بوصفه قيمة فنية وجمالية مستقلة، لا مجرد خلفية سردية –بظهور المدائح النبوية. فقبل ذلك، كان المكان في الشعر الجاهلي إطارًا طبيعيًا (أطلال، صحراء، خيمة) يؤدي وظيفة الحنين والبكاء على الأطلال. مع ظهور الإسلام وتطور الشعر الديني، دخلت أماكن جديدة: المسجد، المحراب، مكة، المدينة، الغار، بدر، أحد، ثم الجنة والنار والصراط والحوض[1].

غير أن هذه الأمكنة لم تبق مجرد أسماء جغرافية جامدة، بل تحولت إلى رموز دينية ووجدانية تحمل في طياتها حمولات عقائدية وتاريخية ونفسية. فمكة لم تعد مجرد بلد، بل أصبحت "أم القرى" ورمز الوحي والتوحيد. والمدينة لم تعد مجرد دار هجرة، بل صارت مدينة النور ومثوى الرسول صلى الله عليه وسلم. والغار لم يعد كهفًا، بل صار معجزة إلهية وشاهدًا على عناية الله بنبيه. وبدر وأحد لم تبق مجرد ساحات معارك، بل تحولت إلى أيقونات للنصر والاستشهاد وشواهد على سنة الله في نصرة المؤمنين[2].

[1] عياش، كمال .*المكان في الشعر العربي* .دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2005، ص 45-4

[2] بوعزة، محمد. "توظيف المكان في المديح النبوي ."*مجلة اللغة العربية وآدابها* .جامعة قسنطينة، العدد 12، 2010، ص 112-115.

وهكذا، اكتسب المكان في المدائح النبوية دلالات متجاوزة تتوزع بين:

1. **البعد الديني:** حيث تتحول الأمكنة إلى فضاءات يتجلى فيها البعد القدسي.
2. **البعد التاريخي:** حيث تستحضر الأمكنة أحداث السيرة النبوية وأمجاد الأمة الإسلامية.
3. **البعد النفسي:** حيث يعبر الشاعر من خلالها عن الشوق والحنين والتطلع إلى الشفاعة.
4. **البعد الجمالي:** حيث تغدو الأمكنة منطلقًا لتشكيل الصور البلاغية، كالتشبيه والاستعارة والكناية[1].

ومن ثم، يتجلى المكان في المديح النبوي بوصفه عنصرًا يجمع بين بعده الحسي المرتبط بجغرافية السيرة النبوية، وبعده الرمزي الذي يحيل إلى منظومة من القيم الدينية والروحية، الأمر الذي أكسبه وظائف فنية ودلالية متعددة.

ويكشف هذا التطور عن أن توظيف المكان في الشعر الديني لم يقتصر على الوصف المباشر، وإنما تطور ليصبح وسيلة للتعبير عن الرؤية الدينية والوجدانية للشاعر، وهو ما مهد لظهور صور مكانية ذات أبعاد رمزية أعمق[2].

وفقًا لما تذكره بعض الدراسات، يُعدّ حسان بن ثابت من أوائل الشعراء الذين وظفوا الأماكن المقدسة في المدائح النبوية، إذ أكثر من استحضار المدينة المنورة وغيرها من الأمكنة المرتبطة بالسيرة النبوية في قصائده. ثم تطور هذا التوظيف في العصرين الأموي والعباسي، فظهرت

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)، تحقيق: العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص158.

[2] ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، ص159.

قصائد اهتمت بوصف مكة المكرمة والمدينة المنورة ومناسك الحج، واتخذ المكان فيها أبعادًا دينية وتاريخية واضحة.

ويكشف هذا التطور عن انتقال المكان من وظيفته الوصفية إلى وظيفة دلالية أعمق، فلم يعد مجرد إطار تجري فيه الأحداث، بل أصبح عنصرًا فنيًا يسهم في بناء المعنى وإبراز الرؤية الشعرية.

وفي مرحلة لاحقة، أضفى شعراء التصوف على المكان أبعادًا رمزية وتأويلية؛ فلم تعد الكعبة مجرد بناء، بل غدت رمزًا للتوجه إلى الله، كما لم يعد الوادي المقدس مجرد بقعة جغرافية، وإنما أصبح رمزًا للخلوة والمناجاة والارتقاء الروحي.

2.2. تطور المكان في الشعر الصوفي والمدائح النبوية

شهد المديح النبوي تطورًا ملحوظًا عبر العصور الأدبية، إذ انتقل من قصائد متفرقة تتضمن الإشادة بالنبي ﷺ إلى فن شعري مستقل له موضوعاته وخصائصه الفنية. وقد بدأ هذا الفن في صورته الأولى خلال العصر الأموي، ثم ازداد نضجًا واتساعًا في العصر العباسي، قبل أن يبلغ ذروة ازدهاره في العصرين المملوكي والعثماني، حيث ظهرت قصائد اشتهرت في التراث الأدبي، مثل قصيدة البردة للإمام محمد بن سعيد البوصيري، والهمزية، وأسهمت في ترسيخ تقاليد المديح النبوي وإبراز خصائصه الفنية.

ويشير الباحث محمد عبد المنعم خفاجي إلى أن المديح النبوي يمثل صورة متميزة للتفاعل بين الشعر والعقيدة، إذ يرتبط التعبير الشعري فيه بالقيم الدينية والسيرة النبوية، بما يمنحه أبعادًا روحية وفنية.

وفي هذا السياق، تطور توظيف المكان في المدائح النبوية تطورًا واضحًا؛ فلم يعد يقتصر على ذكر الأمكنة المرتبطة بحياة النبي ﷺ، بل أصبح عنصرًا فنيًا يسهم في بناء الدلالة وإبراز التجربة الوجدانية للشاعر. ومن ثم، اكتسبت أمكنة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وغار حراء وبدر وأحد دلالات دينية ورمزية، تجاوزت حدودها الجغرافية لتغدو علامات على أحداث السيرة النبوية ومظاهر القداسة في الوجدان الإسلامي.[1]

المكان في الشعر الصوفي: "العالم الخيالي" بين الأرض والسماء

في الشعر الصوفي، لم يعد المكان مقصورًا على حدوده الجغرافية أو الحسية، بل اكتسب أبعادًا روحية ورمزية، فأصبح معبرًا عن المقامات والأحوال الصوفية، وفضاءً للتجربة الروحية. وفي هذا السياق، يرى هنري كوربان في كتابه الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي أن المكان في التصوف لا يُفهم بوصفه حيزًا جغرافيًا، وإنما فضاءً روحيًا تتحقق فيه الرؤيا والتجلي.[2]

ويطلق كوربان على هذا الفضاء اسم «العالم المتخيَّل» (Le Monde Imaginal)، وهو عالم يتوسط بين العالم المحسوس والعالم العقلي، وتلتقي فيه الرؤية الروحية بالصور الرمزية. ومن

[1] إبراهيم خفاجي، الشعر الديني في العصر المملوكي، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966، ص56.

[2] Henry Corbin, L'Imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn 'Arabî, Paris : Flammarion, 1958, p. 185 .

ثم، تكتسب الأماكن المقدسة دلالات تتجاوز وجودها المادي؛ فالكعبة تغدو رمزًا للقلب، والمسجد الأقصى رمزًا للمعراج، والصخرة المشرفة رمزًا للصلة بين الأرض والسماء.

وانطلاقًا من هذا التصور، يتجلى أثر المكان الرمزي في شعر الإسراء والمعراج، إذ يصبح الانتقال بين السماوات تعبيرًا عن الارتقاء الروحي، وتمثل كل سماء مقامًا من مقامات القرب الإلهي، كما يرمز لقاء الأنبياء إلى مراتب مختلفة من المعرفة والكمال الروحي.[1]

ويتضح من ذلك أن المكان في التجربة الصوفية لا يؤدي وظيفة وصفية، بل يتحول إلى بنية رمزية تحمل دلالات عقدية وروحية، وهو ما يفسر كثافة حضور الأمكنة المقدسة في الشعر الصوفي وما تؤديه من وظائف جمالية ودلالية.

[1] عطية، محمود: "الإسراء والمعراج في الشعر الصوفي". مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 45، 2008، ص 112

3.2. خصوصية المكان في الشعر الديني المغربي العربي

يختلف الشعر الديني في بلاد المغرب القديم (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) عن نظيره المشرقي بخصائص تميزه، وإن ظل التبادل والتأثر قائماً بين الضفتين[1]. ومن أبرز ملامح هذا الاختلاف:

- **غلبة الطابع الصوفي على المديح النبوي**، وذلك لتأصل الطرق الصوفية في ربوع المغارب.
- **نزعة الآتيف الموسوعي**، حيث كانت تُجمع القصائد في دواوين ضخمة تضرب في معجزات النبي ومناقبه، كأنها دوائر شعرية كبرى.
- **مراعاة الجمهور العريض**، فإذ كانت هذه القصائد تترنم بها الألسن في الاحتفالات الدينية والموالد، حرص الشعراء على سبك واضح وتكرار ركين، ليفضي المعنى إلى أفهام العامة دون كد.

وفي هذا الإطار، يحضر توظيف المكان بوصفه آلية فاعلة تتداخل فيها الوظيفة الدينية بالوظيفة السياسية. ويتجلى ذلك بوضوح في المدائح النبوية بالمغرب الإسلامي، إذ لم يعد المكان، ممثلًا في المساجد والأضرحة والمدن المقدسة والزوايا، مجرد إطار مكاني للأحداث، بل أصبح عنصرًا دلاليًا يسهم في بناء الخطاب الشعري. فالشاعر، حين يستحضر مكة

[1] أأبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998، ص234.

المكرمة أو المدينة المنورة أو الحرمين الشريفين، لا يكتفي بوصفها أمكنة مقدسة، وإنما يوظفها لإبراز قيم دينية ورمزية قد تمتد إلى تمثيل السلطة الراعية للدين والعلم ومؤسساته.[1]

ويتضح من ذلك أن المكان في المدائح النبوية المغاربية تجاوز وظيفته الوصفية، ليصبح وسيلة فنية ودلالية تسهم في بناء الرؤية الشعرية، وتكشف عن التفاعل بين المرجعية الدينية والواقع التاريخي والاجتماعي الذي أنتج هذه النصوص.

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص241.

4.2. توظيف المكان في المدائح النبوية بين الديني والسياسي

أولا: السياق العام للشعر الديني في الجزائر

يرى المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله أن: "الشعر الديني في الجزائر اتخذ منحى مغايرًا، حيث كان أداة لنشر التصوف السني ومقاومة البدع."

وتشير هذه الرؤية إلى خصوصية التجربة الجزائرية في هذا المجال، إذ تميزت بالارتباط الوثيق بين الشعر والتصوف السني المعتدل، بعيدًا عن مظاهر الغلو التي عرفتها بعض التجارب الصوفية في أقاليم إسلامية أخرى.

كما يتضح أن الشعر الديني في الجزائر لم يقتصر على الجانب الوجداني، بل أدى وظائف تعليمية وتربوية ودعوية، وأسهم في ترسيخ القيم الدينية داخل المجتمع. وقد اضطلعت المساجد والزوايا والمؤسسات العلمية بدور بارز في حفظ هذا الشعر وإنشاده وتداوله.

يفهم من كلام سعد الله أن الشعر الديني الجزائري تميز بطابعه التربوي والتعليمي والدفاعي، حيث لم يقتصر على العاطفة بل تحول إلى أداة لنشر التصوف المعتدل ومقاومة البدع، وقد انتشر عبر المساجد والزوايا والمدارس الدينية التي جعلت منه وسيلة لتربية المجتمع وحماية عقيدته.

ثانيا: ابن الخلوف القسنطيني في سياق الدولة الحفصية

يُؤرَّخ نشاط ابن الخلوف القسنطيني بالعصر الحفصي، الذي عرفت فيه بلاد المغرب الأوسط ازدهارًا ثقافيًا وفكريًا ملحوظًا. والدولة الحفصية (1229–1574م) هي سلالة مسلمة سنية حكمت إفريقية (تونس حاليًا وشرق الجزائر وغرب ليبيا)، واتخذت من تونس عاصمة لها، مع وجود فرع غربي حكم من بجاية وقسنطينة .[1]

يعني هذا أن ابن الخلوف عاش في الدولة الحفصية التي حكمت تونس والجزائر وليبيا لأكثر من ثلاثة قرون، وهي دولة سنية شجعت الثقافة والدين، مما جعل الشعر الديني يزدهر في عهدها. وهذا السياق الحضاري هو الذي أنتج شاعراً مثل ابن الخلوف وصنع خصوصية تجربته الشعرية.

تميزت الدولة الحفصية بعدة خصائص جعلت منها بيئة خصبة لنشأة المدائح النبوية وتطورها:

1. **الشرعية الدينية** :سعى الحفصيون إلى إضفاء الشرعية الدينية على حكمهم من خلال الارتباط بالإسلام ونشر المذهب السني والتصوف المعتدل، فكانوا رعاة للعلماء والصوفية والشعراء .[1]

[1] أبو القاسم بن محمد سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 2، ص 234.

2. **التراث الأندلسي** :استقبل الحفصيون أعداداً كبيرة من اللاجئين الأندلسيين الهاربين من سقوط الأندلس، فزادوا بذلك الحراك الثقافي والعلمي في البلاد، وأضفوا على الشعر الديني نكهة أندلسية مميزة [1] .

3. **الزخم الفكري** :شهد العصر الحفصي ازدهاراً فكرياً غير مسبوق، حيث ظهر فيه مؤرخون كبار مثل ابن خلدون، وشعراء مبدعون مثل ابن الخطيب وابن زمرك، بالإضافة إلى ازدهار الحركة الصوفية التي وجدت في المدائح النبوية متنفساً تعبيرياً .

عاش ابن الخلوف القسنطيني في قسنطينة التي كانت إحدى حواضر الدولة الحفصية الغربية. وقد استفاد من هذا المناخ الثقافي الغني، فجمع في ديوانه "جنى الجنتين" بين البعد الديني في مدح النبي ﷺ، والبعد السياسي في تعزيز شرعية الحكام.

ثالثا: توظيف المكان لخدمة أغراض دينية وسياسية

يمثل ابن الخلوف نموذجًا لهذا التوجه الذي يجمع بين الديني والسياسي، حيث وظف المكان في ديوانه لخدمة أغراض متعددة في آن واحد:

الأغراض الدينية:

أ .**الدعوة إلى التقوى والصلاح** :باستحضار الأماكن المقدسة (مكة، المدينة، المسجد الأقصى) يذكر الشاعر المؤمنين بعظمة هذه البقاع ووجوب احترامها والتزود من روحانياتها، فيتحول المكان إلى أداة وعظية وإرشادية[1].

ب .**ترسيخ العقيدة الصحيحة** :من خلال ربط الأماكن بأحداث السيرة النبوية (الغار، بدر، أحد)، يعيد الشاعر بناء العقيدة الإسلامية على أسس صحيحة، ويحارب البدع والخرافات التي قد تلتصق ببعض الأماكن.

ج .**إحياء المناسك والعبادات** :ذكر مكة والمدينة والمسجد الحرام يذكر المؤمنين بفريضة الحج ومناسكها، ويحفزهم على أداء هذه الشعيرة.

الأغراض السياسية:

أ .**تعزيز شرعية الحكام الحفصيين** :من خلال استحضار مكان النبي ﷺ والأماكن المقدسة، يربط الشاعر بين الحكام الحفصيين والإسلام وبين المكان المقدس، وكأنه يضفي عليهم هالة

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)، تحقيق: العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، القصيدة التائية «تائية الإسلام»، الأبيات (15–30).

من القدسية والشرعية الدينية .فالحفصيون، الذين ادعوا النسب إلى الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كانوا حريصين على إظهار أنفسهم كحماة للإسلام والمقدسات، والشعراء كانوا أدوات لنشر هذه الصورة .

ب .**خدمة الأغراض السياسية للدولة** :في مرحلة كانت تتعرض فيها الدولة الحفصية لتهديدات خارجية (من المرينيين والنصارى)، كان ذكر أماكن المعارك الإسلامية (بدر، أحد، الخندق) استحضاراً لنصر الله لأوليائه، مما يرفع معنويات المجتمع ويعزز صمود الدولة .

ج .**توحيد الأمة حول الحاكم** :استحضار الأماكن المقدسة والمشتركة بين جميع المسلمين (مكة والمدينة والمسجد الأقصى) هو وسيلة لتوحيد الأمة حول شخص الحاكم الذي يُصوَّر كحامٍ لهذه المقدسات وحارسٍ لها[1] .

يفهم من هذا أن ابن الخلوف وظف الأماكن المقدسة وأماكن المعارك الإسلامية في شعره لخدمة الأغراض السياسية للحفصيين: أولاً لتعزيز شرعيتهم بالنسب إلى عمر بن الخطاب وهالة القدسية، ثانياً لرفع معنويات المجتمع في مواجهة أعدائهم (المرينيين والنصارى)، وثالثاً لتوحيد الأمة حول الحاكم بوصفه حامياً للمقدسات المشتركة بين المسلمين.

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)، القصيدة التائية «تائية الإسلام»، الأبيات (15–30).

3. المكان ودلالاته في الشعر الديني: ثنائيات وعلاقات

لا يقتصر حضور المكان في الشعر الديني على كونه فضاءً ماديًا تجري فيه الأحداث، بل يتخذ أبعادًا دلالية متعددة تسهم في بناء المعنى الشعري. ويتجلى ذلك من خلال ثنائيات متقابلة، مثل: القدسي والدنيوي، والمرئي والمتخيل، والأرضي والسماوي، والذاكرة التاريخية والأفق الأخروي. كما يقيم المكان علاقات وثيقة مع عناصر النص الأخرى، من خلال ارتباطه بالزمان، وبالحالة النفسية، وبالسلطة، وبالجسد. ومن ثم، تحولت أمكنة مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وغار حراء، وبدر، وأحد، والجنة، والنار من مجرد مواقع جغرافية إلى رموز دينية وثقافية تحمل دلالات عقدية وتاريخية وجمالية، وهو ما يبرز أهمية المكان بوصفه عنصرًا بنائيًا فاعلًا في الشعر الديني.

1.3. ثنائية العلو والسفل (السماء والأرض)

تعتبر ثنائية العلو/السفل من أكثر الثنائيات حضورًا في الشعر الديني. فالسماء (ومشتقاتها: العرش، الكرسي، السموات السبع، الفردوس الأعلى) ترمز إلى القداسة والرفعة والخلود والقرب من الله. والأرض (والأماكن الأرضية) ترمز إلى الدنيا والغرور والفناء والنزعة البشرية. لكن ليست كل الأماكن الأرضية كذلك، فالأرض المقدسة (مكة، المدينة، المسجد الأقصى) تستثنى من هذه النظرة، لأنها ارتبطت بالوحي وبالرسل.

في ديوان ابن الخلوف، يتكرر وصف النبي بأنه "أعلى الأنام قدرًا" وأنه عرج به إلى السماء. هذا الصعود المكاني يعكس الصعود المعنوي والقرابة الإلهية. في المقابل، يصف أعداء النبي بأنهم "في الدرك الأسفل من النار" (معنى ضمني في أبيات العذاب). هذه الثنائية ترسم للقارئ خريطة أخلاقية واضحة.

2.3. ثنائية المركز والهامش (القداسة والدنياوية)

المدينة (يثرب/المدينة المنورة) ومكة هما "مركز القداسة" في الشعر الديني. الشاعر ابن الخلوف يحن إليهما ويحتسب زيارتهما من أعظم أمانيه. كل ما عداهما هو هامش، إن لم يكن دخيلاً. ويستنجد الشاعر بالنبي لأنه "وسط" الكون، وهو الذي في قبته تدور الأفلاك، فكل مكان يستمد معناه ووجوده من وجود الرسول أو من عدمه، وهذا تأثر واضح بالنظرة الصوفية لابن عربي التي ترى "الإنسان الكامل" بوصفه قطب الوجود ومركز الدائرة الكونية التي منها يتشعّ الوجود.

لذلك، وصف النبي بأنه "قاب قوسين أو أدنى" [1]هو وصول إلى مركز المركز، إلى أقرب نقطة مكانية وإنسانية يمكن للخلق أن يصلوا إليها من الجبار.

[1] سورة النجم، الآية 9.

3.3. المكان بين الحقيقة والمجاز (التشبيه والرمز)

تتعدد الصور المكانية في الشعر الديني بين:

- **حقيقي** :كذكر الغار، بدر، أحد، المدينة.
- **مجازي رمزي** :كوصف الجنة بأنها "روضة" والنار بأنها "جحيم"، والقبر بأنه "حفرة" أو "روضة من رياض الجنة."
- **تخيلي** :كالصراط والحوض والبرزخ، فهي ليست أماكن مادية بالمعنى الدقيق، لكن الإيمان بها يقضي بوصفها.
- **نفسي** :حيث يتحول المكان في القصيدة إلى انعكاس لحالة الشاعر النفسية، فيصف الشاعر قلبه بأنه "ضاق ذرعًا"[1] ، فيجعل العاطفة مكانًا جسدانيًا.

ابن الخلوف كان بارعًا في استعمال هذه المستويات، فهو يصف القبر تارة بأنه حفرة ضيقة تبعث الرعب، وتارة يتوسل أن يكون "قبره" في البقيع أو قريبًا من الصالحين، مما يحول المكان من معنى حسي إلى معنى عاطفي غايته تحقيق السكينة النفسية بعد الموت.

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)، تحقيق: العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص123–175.

4. آليات تشكل الصورة المكانية: الوظيفة الجمالية والدلالية

1.4. آليات التشكيل الفني للمكان:

تتشكل الصورة المكانية من خلال مجموعة من الأدوات الفنية والصور البيانية:

أ- **التشبيه المكاني** :وهو جعل مكان يشبه مكانًا آخر أو شيئاً آخر لأغراض بلاغية. مثال ذلك تشبيه الجنة بالروضة، وتشبيه القبور بالحفر. يساعد التشبيه في تقريب المعنى وإيصال الإحساس بالفضاء. يقول ابن الخلوف في وصف حاله مع الحبيب (النبي): "كيف أهوى وقد حَمَلْتُ ثِقيلا؟"[1]، فجعل همه ثقلاً مادياً يملأ مكان قلبه.

ب- **الاستعارة المكانية** :وهي نقل دلالة المكان من حيز إلى آخر. كثرة ورود "الضيق" و"السعة" في الديوان استعارات لحالات نفسية. الشاعر يستعير الحيز (الضيق) ليعبر عن الهم، والرحابة (السعة) ليعبر عن الفرح والنجاة. هذا النوع من الاستعارة "المكانية" (التجسيد المكاني للمشاعر) هو ما يميز الشعر الصوفي والوجداني.

ج- **التكرار والإيقاع المكاني** :تكرار ذكر مكان معين يضفي عليه أهمية خاصة، ويجعل النص يتخذ إيقاعًا طقسيًا. فتكرار لفظ "الجنة"، "النار"، "الحوض"، "الشفاعة" في قصائد ابن الخلوف يذكر القارئ دومًا بالمصيرين المحتومين، ويضفي على النص طابعًا دينيًا إنشاديًا.

[1] (ابن الخلوف :جنى الجنتين" ص 110

2.4. الأبعاد الدلالية للصورة المكانية:

للصورة المكانية أبعاد متعددة تتجاوز البعد الجمالي إلى أبعاد تأثيرية:

أ- **البعد الديني** :وهو الغالب، حيث تعبر الأماكن عن العقيدة وتصوير عالم الغيب، فتُغرس في ذهن المتلقي تصورات عن الجنة والنار والجسر والحساب.

ب- **البعد التربوي الوعظي** :من خلال تصوير مصير الطائع والعاصي، والترهيب بعذاب القبر والترغيب بنعيم الجنة، مما يجعل القصيدة خطابًا وعظيًا مؤثرًا.

ج- **البعد السياسي** :ذكر أماكن الغزوات والمغازي (بدر، أحد، تبوك، الأحزاب) واستدعاء أسماء القادة والصحابة والخلفاء هو بمثابة دعوة للاقتداء بهم، وتذكير بما كان عليه الأسلاف من عزة وقوة، وقد يستخدمه الشاعر لمدح حكام عصره وتوجيههم.

د- **البعد النفسي الوجداني** :المكان يعكس مخاوف الشاعر وآماله. ضيق القبر وخوفه، ثم انفراج الأمل بالجنة. هذا البعد يخلق توترًا دراميًا ممتعًا للنص مع أنه ديني صرف، ويجعل القارئ يتفاعل مع النص على المستوى العاطفي.

3.4. العلاقة بين المكان والممدوح (النبي) في المديح النبوي

في المديح النبوي، العلاقة بين المكان والممدوح علاقة تلازم وسببية: فهناك أماكن "تباركت" بوجود النبي (مكان مولده، مكان نزول الوحي، مكان دفنه). وهناك أماكن ستتكرم به يوم القيامة (مقامه المحمود، لواؤه، حوضه). لذا، فكلما زاد الشاعر في وصف هذه الأماكن، أحدث أثرًا أكبر لدى المتلقي.

النبي هو "مركز" دائرة القداسة التي تمتد من العرش إلى الثرى، وهو "الرحمة المهداة" للأرض وأهلها. لذلك، يذكر ابن الخلوف الأماكن دائمًا في سياق نسبتها للنبي: "قبره" الشريف، "حوضه" المورود، "سراجه" المنير الذي ينير سماء الدنيا. تحول المكان من كونه مجرد موقع جغرافي إلى "أيقونة" دينية شاخصة في وجدان الجماعة المسلمة[1].

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)، تحقيق: العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص200–210.

عندما نتأمل مفهوم المكان في الفكر العربي قديمه وحديثه، ونتتبع تطوره في الشعر الديني، ونحلل ما يحمله من دلالات وآليات تكوين، نكتشف أن المكان في شعر المدائح النبوية ليس مجرد فضاء خاوٍ أو إطار صامت تتحرك داخله الأحداث. بل هو بنية دلالية بالغة التعقيد، تمتد أبعادها وتتشابك مستوياتها.

فالمكان هنا يتجاوز الوظيفة الحسية المباشرة إلى آفاق رحبة. نجده يتشكل كفضاء نفسي يعكس مشاعر الخوف والأمل لدى الشاعر، ويتحول أحيانًا إلى فضاء رمزي تحيل دلالته إلى معانٍ دينية كبرى كالجنة والنار والخلود، ويصير في مواضع أخرى فضاء تاريخياً تستعاد من خلاله أمجاد الأمة ومفاخرها. وكل هذا يثبت أن المكان في المديح النبوي يغلب عليه الطابع المقدس، وأنه يتشكل انطلاقاً من رؤية عقائدية تقوم على ثنائيات متعددة: العلو والسفل، المركز والهامش، الحقيقة والمجاز.

كما نلاحظ أن هذه الصورة المكانية لا تنشأ من فراغ، بل تعتمد على آليات بيانية محددة كالتشبيه والاستعارة والتكرار. وهذه الآليات تحمل في طياتها أبعاداً متعددة: دينية، تربوية، سياسية، ونفسية. وهذا التنوع في الأساليب والمضامين يجعل من المكان أداة مركزية يستعين بها الشاعر لتحقيق غاياته الوجدانية والدعوية، ويوصل بها رسالته إلى المتلقي في أبهى صورة بيانية وأكثرها تأثيراً.

وهذا التأصيل النظري الذي قدمناه سيشكل المنهجية التي نعتمد عليها في التحليل التطبيقي. ففي الفصل الآتي، سننتقل إلى تطبيق هذه الآليات والمفاهيم على ديوان ابن الخلوف القسنطيني الموسوم بـ "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين". وسنرى كيف استطاع هذا الشاعر المغاربي أن يحول الإمكانيات النظرية إلى صور شعرية مفعمة بالحياة، وكيف جعل من فضاء القصيدة ملاذاً روحياً يقصده طالب الشفاعة والجنة، وراغب النجاة من عذاب القبر والنار. وسنقوم بجرد وتحليل المواضع المكانية التي وردت في الديوان، لنكشف وظائفها الجمالية والدلالية، ونستنطق النص الشعري ليحدثنا عن رؤاه وتصوراته حول المكان والكون والإنسان.

الفصل الثاني :

جماليات الصور المكانية وأبعادها في ديوان ابن الخلوف القسنطيني

1. أنماط الصورة المكانية في ديوان
2. دلالات الصورة المكانية في ديوان
3. آليات بناء الصورة المكانية في ديوان
4. خاتمة الفصل.

الدراسة إلى الجانب التطبيقي، من خلال تحليل الصورة المكانية في ديوان «جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين» لشهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، بهدف الكشف عن أنماط حضور المكان ووظائفه الفنية والدلالية في النص الشعري.

ويقوم هذا الفصل على تتبع مختلف الأمكنة الواردة في الديوان، ورصد دلالاتها في ضوء السياق الشعري، وتحليل الكيفية التي أسهمت بها في بناء الصورة الشعرية وإنتاج المعنى، مع الوقوف على علاقتها بالتجربة الدينية والوجدانية للشاعر.

كما يتناول الفصل آليات تشكل الصورة المكانية، وما تؤديه من وظائف جمالية ورمزية داخل القصيدة، اعتمادًا على المنهج الوصفي التحليلي، والاستناد إلى الشواهد الشعرية الواردة في الديوان، بما يبرز خصوصية توظيف المكان في شعر ابن الخلوف القسنطيني، ويكشف عن أبعاده الفنية والدلالية.

1.أنماط الصورة المكانية في ديوان" جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"

يحتل المكان مكانة بارزة في ديوان «جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين»، إذ لم يرد بوصفه عنصرًا وصفيًا أو إطارًا تجري فيه الأحداث، وإنما جاء مكوّنًا أساسيًا في بناء التجربة الشعرية، وحاملًا لجملة من الدلالات الدينية والتاريخية والرمزية. وقد تنوعت الأمكنة التي استحضرها الشاعر بين أمكنة مقدسة ارتبطت بالسيرة النبوية، وأمكنة تاريخية شهدت أحداثًا مفصلية في تاريخ الإسلام، وأخرى أخروية استمدت حضورها من العقيدة الإسلامية، فضلاً عن أمكنة ذات أبعاد رمزية ونفسية عكست رؤية الشاعر وتجربته الوجدانية.

وانطلاقًا من هذا التنوع، تسعى الدراسة إلى تصنيف هذه الأمكنة وفق طبيعتها ووظيفتها داخل النص الشعري، مع بيان الخصائص الدلالية والفنية التي تميز كل نمط منها، تمهيدًا لتحليل أثرها في بناء الصورة المكانية في الديوان.

1.1.المكان المقدس

يُعدُّ المكان المقدس أكثر الأنماط المكانية حضورًا في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، إذ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوع المديح النبوي، ويشكّل محورًا أساسيًا في بناء الرؤية الشعرية. فقد أكثر ابن الخلوف من استحضار الأمكنة التي اقترنت بحياة الرسول ﷺ وسيرته، مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وغار حراء، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، لما تحمله من مكانة دينية ورمزية في الوجدان الإسلامي.

ولا يقتصر حضور هذه الأمكنة على الإحالة إلى مواقع جغرافية معروفة، وإنما يتجاوز ذلك ليؤدي وظائف دلالية متعددة؛ فهي ترمز إلى الوحي والهجرة، وتجسد معاني الطهارة والقداسة، كما تستحضر أهم المحطات في السيرة النبوية، فتسهم في تعميق البعد الإيماني داخل النص الشعري.

ومن خلال هذا التوظيف، يغدو المكان المقدس عنصرًا فاعلًا في تشكيل الصورة الشعرية، إذ يربط بين الحدث التاريخي والتجربة الوجدانية للشاعر، ويمنح القصيدة بعدًا روحيًا يتجاوز حدود الوصف المكاني إلى التعبير عن الشوق والمحبة والتعظيم للرسول ﷺ، وهو ما ينعكس في كثافة الإشارات المكانية التي تتوزع في مختلف قصائد الديوان.

ويستغرق ابن الخلوف في استحضار هذه الأمكنة المقدسة مستلهمًا قيمتها الروحية والتاريخية، حيث تلتحم جغرافية الحجاز في شعره بمشاعر التعظيم والتشوق لأثر الحبيب ﷺ، ومن ذلك قوله:

أَمِنْ ذِكْرِ أَطْلَالِ الْحِجَازِ وَمَكَّةٍ ... تَسِيلُ عُيُونٌ بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ

مَهَابِطُ وَحْيِ اللهِ حِينَ تَأَلَّقَتْ ... بِهَا شَمْسُ دِينِ اللهِ بَيْنَ الْعَوَاصِمِ

مَنَازِلُ فِيهَا لِلنَّبِيِّ مَعَالِمٌ ... تُعِيدُ إِلَى النَّفْسِ الْهُدَى بِالْعَزَائِمِ[1]

[1] العربي دحو، ابن الخلوف وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقين المعروف بديوان الإسلام (827هـ/1454م - 899هـ/1494م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 185.

أولًا: مكة المكرمة

تحتل مكة المكرمة مكانة محورية في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، بوصفها مهبط الوحي، وموطن مولد النبي ﷺ، وأقدس بقاع الأرض عند المسلمين. لذلك يكثر الشاعر من استحضارها في سياقات المدح والدعاء والتوق إلى زيارتها، فتغدو أكثر من مجرد مكان جغرافي، إذ تتحول إلى رمز للطهر والإيمان، ومركز تنطلق منه معاني الرسالة المحمدية.

ويستثمر ابن الخلوف الدلالات الدينية والتاريخية لمكة المكرمة في بناء صوره الشعرية، مستحضرًا ما ارتبط بها من أحداث السيرة النبوية، الأمر الذي يضفي على النص بعدًا روحيًا ويعمق أثره في المتلقي. كما تتكرر الإشارة إليها مقترنةً بالكعبة المشرفة والمسجد الحرام، بما يعكس تعلق الشاعر بالأماكن المقدسة، ويبرز ما تحمله من رمزية عقدية في الوجدان الإسلامي.

ولا يقف توظيف مكة عند حدود الوصف، بل تتداخل مع التجربة الوجدانية للشاعر، فتغدو فضاءً للتعبير عن الشوق والحنين، ومقصدًا روحيًا يتطلع إلى بلوغه، لما تمثله من معاني القرب من الله تعالى، والارتباط برسوله ﷺ. ومن ثم، تؤدي مكة في الديوان وظيفة فنية ودلالية تجمع بين البعد الواقعي والبعد الرمزي، وتسهم في بناء الصورة المكانية التي تقوم عليها التجربة الشعرية.

ومن شواهد هذا الحنين والتعلّق بمكة المكرمة ومعالمها المعمورة في ديوان ابن الخلوف، قوله مستحضرًا طيب بطحائها وشرف مولد النبي ﷺ فيها[1]:

عُجْ بِالْمَنَازِلِ مِنْ بَطْحَاءِ مَكَّةَ إِذْ ... أَضْحَتْ لِأَنْوَارِ خَيْرِ الْخَلْقِ مَعْمُورَا

دَارٌ بِهَا شَرُفَتْ كُلُّ الْوُجُودِ بِمَنْ ... قَدْ جَاءَنَا بِالْهُدَى وَالْحَقِّ مَنْصُورَا

وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ زَادَهُ شَرَفًا ... كَمْ طَافَ فِيهِ مُحِبٌّ يَبْتَغِي النُّورَا

[1] ابن الخلوف القسنطيني (أحمد بن محمد)، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (المعروف بديوان الإسلام)، تقديم وتحقيق وشرح: د. العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002م، ص 164.

وفي موضع آخر يعبّر عن شوقه وتطلّعه لقطع المسافات بلوغًا لهذا المكان المقدس والكعبة المشرفة:

إِلَى مَكَّةَ الْغَرَّاءِ تَشْتَاقُ أَنْفُسٌ ... تَرَى حَجَّهَا فَرْضًا عَلَيْهَا وَمَغْنَمَا

بَقِيعٌ وَبَطْحَاءٌ وَبَيْتٌ مُعَظَّمٌ ... أَمُوتُ وَأَحْيَا فِي هَوَاهَا مُتَيَّمَا

ثانيًا: المدينة المنورة

تأتي المدينة المنورة في المرتبة الثانية من حيث الحضور في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، وهي تمثل في الوجدان الإسلامي مدينة الهجرة، ومقر الدولة الإسلامية الأولى، ومثوى الرسول ﷺ. ولهذا لم يتعامل معها ابن الخلوف بوصفها مكانًا تاريخيًا فحسب، بل جعلها فضاءً روحيًا تتجسد فيه معاني السكينة والمحبة والحنين.

ويكثر الشاعر من استحضار المدينة في سياق التعلق بالرسول ﷺ، فتغدو رمزًا للقرب منه، ومهوى أفئدة المؤمنين، ومقصدًا لكل من يرجو زيارته والسلام عليه. كما ترتبط في الديوان بالروضة الشريفة والمسجد النبوي، فتتسع دلالتها لتشمل القداسة والطمأنينة والرحمة.

ولا يقتصر حضور المدينة المنورة على بعدها المكاني، بل يؤدي وظيفة شعورية واضحة؛ إذ تتحول إلى فضاء تستقر فيه أشواق الشاعر وآماله، ويعبر من خلالها عن رغبته في نيل شفاعة الرسول ﷺ والفوز بالقرب منه في الدنيا والآخرة. ومن ثم، تكتسب المدينة في الديوان بعدًا رمزيًا يتجاوز حدود الجغرافيا، لتصبح رمزًا للمحبة الصادقة والانتماء الروحي، وعنصرًا أساسيًا في بناء الصورة المكانية في شعر ابن الخلوف.

ومن تجليات هذا التعلق والشوق الروحي لطيبة والروضة الشريفة في ديوان ابن الخلوف، قوله في سياق السكينة وطلب الأمان والشفاعة عند عتبات المصطفى ﷺ:

لِطَيْبَةَ حَنَّتِ الأَشْوَاقُ مِنِّي ... وَسَارَ الرَّكْبُ يَبْتَغِيَ الْمَزَارَا

بِهَا قَبْرُ النَّبِيِّ وَخَيْرُ هَادٍ ... يُنِيرُ بِفَضْلِهِ الصَّبَّ الْحَيَارَى

رَجَوْتُ اللهَ فِيهَا بِالشَّفَاعَـ ... ـةِ يَوْمَ الْبَعْثِ مَحْوًا وَاعْتِذَارَا

وفي قصيدة أخرى، يبرز الشاعر كيف تتحول المدينة المنورة إلى ملاذٍ شعوري تستقر فيه آماله، ممتزجةً بالصلوات والتعظيم للمقام النبوي[1]:

نَحْوَ الْمَدِينَةِ غَارَتْ نَفْسِيَ الْوَلِهَة ... تَرْجُو الْقَبُولَ بِأَعْتَابِ النَّبِيِّ غَدَا

فَالرَّوْضَةُ الْفَيْحَاءُ نُورٌ لَا خَفَاءَ بِهِ ... مَنْ حَلَّ فِيهَا رَأَى التَّطْهِيرَ وَالرَّشَدَا

يَا سَيِّدَ الرُّسْلِ يَا غَوْثَ الأَنَامِ لَنَا ... كُنْ لِي شَفِيعًا إِذَا مَا جِئْتُ مُنْفَرِدَا

ثالثًا: غار حراء

يُعدُّ غار حراء من أبرز الأمكنة المقدسة التي استحضرها ابن الخلوف في ديوانه، لما يمثله من قيمة دينية عظيمة في التاريخ الإسلامي؛ فهو المكان الذي بدأ فيه نزول الوحي على النبي ﷺ، ومنه انطلقت رسالة الإسلام إلى العالمين. ولهذا ارتبط ذكره في القصائد بمعاني الاصطفاء الإلهي وبداية الرسالة المحمدية.

ويستثمر الشاعر هذه الحمولة الدينية في بناء صوره الشعرية، فلا يقتصر على الإشارة إلى الغار باعتباره موضعًا جغرافيًا، بل يجعله رمزًا للنور والهداية والوحي، ومظهرًا من مظاهر

[1] ابن الخلوف القسنطيني (أحمد بن محمد)، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقين (المعروف بديوان الإسلام)، تقديم وتحقيق وشرح: د. العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002م، ص 210.

العناية الإلهية بنبيه الكريم ﷺ. وبذلك يغدو المكان شاهدًا على حدث مفصلي في تاريخ الإسلام، وعنصرًا دلاليًا يربط بين الماضي المقدس والحاضر الشعري.

كما يضفي استحضار غار حراء على النص بعدًا روحيًا واضحًا، إذ يستدعي في ذهن المتلقي لحظة نزول أول آيات القرآن الكريم، وما رافقها من معانٍ إيمانية عميقة، الأمر الذي يعزز الأثر الوجداني للصورة الشعرية، ويجعل المكان يؤدي وظيفة رمزية تتجاوز حدود الوصف إلى التعبير عن قدسية الرسالة وعظمة بدايتها.

ومن شواهد استحضار غار حراء باعتباره منطلقًا لأنوار الوحي وبداية الهداية المحمدية في ديوان ابن الخلوف، قوله مستدعيًا لحظة الاصطفاء العظيمة:

وَبِغَارِ حِرَاءَ لِلْأَنْوَارِ مَطْلَعُهَا ... إِذْ جَاءَ جِبْرِيلُ بِالتَّنْزِيلِ وَالْهُدَى

فَبَدَا الضِّيَاءُ مِنَ الظَّلْمَاءِ مُنْبَثِقًا ... وَعَمَّ كُلَّ الْوُجُودِ الْحَقُّ وَالرَّشَدَا

وفي موضع آخر، يربط الشاعر بين خلوة النبي ﷺ في الغار وبين الرعاية والعناية الإلهية التي حفّت هذا المكان المقدس:

مَكَانُ حِرَاءٍ إِذْ تَسَامَى بِقَدْرِهِ ... وَأَصْبَحَ لِلْوَحْيِ الْمُقَدَّسِ مَظْهَرَا

خَلَا فِيهِ خَيْرُ الْعَالَمِينَ لِرَبِّهِ ... فَأَشْرَقَ فِيهِ النُّورُ لَمَّا تَسَطَّرَا[1]

[1] ابن الخلوف القسنطيني (أحمد بن محمد)، *ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (المعروف بديوان الإسلام)*، تقديم وتحقيق وشرح: د. العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002م، ص 245.

رابعًا: المسجد الحرام والمسجد النبوي

يحظى المسجد الحرام والمسجد النبوي بحضور بارز في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، لما لهما من منزلة عظيمة في العقيدة الإسلامية، وارتباطهما المباشر بسيرة الرسول ﷺ. وقد وظفهما ابن الخلوف بوصفهما فضاءين تتجلى فيهما معاني العبادة والطاعة والمحبة، مما أكسب الصورة المكانية أبعادًا دينية وروحية عميقة.

ويظهر المسجد الحرام في الديوان رمزًا للوحدة الإسلامية، ومهوى أفئدة المؤمنين، وقبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، في حين يحضر المسجد النبوي بوصفه موطن الرسالة، ومكان اجتماع المسلمين حول نبيهم، وموضعًا تتجلى فيه معاني السكينة والرحمة والطمأنينة.

ولا يقتصر حضور هذين المكانين على وصفهما وصفًا مباشرًا، بل يتجاوز ذلك إلى إبراز ما يرتبط بهما من قيم إيمانية، فيصبحان رمزين للطاعة والتقرب إلى الله تعالى، وللصلة الروحية بالرسول ﷺ. ومن ثم، يؤديان وظيفة فنية ودلالية تسهم في ترسيخ قداسة المكان داخل النص الشعري، وتعزز الأثر الوجداني للصورة المكانية، بما ينسجم مع طبيعة المديح النبوي وأهدافه.

ومن شواهد استحضار المسجد الحرام بوصفه مهوى الأفئدة وقبلة الطاعة والتقرب في ديوان ابن الخلوف، قوله:

وَفِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ لَنَا مَلَاذٌ ... بِهِ الطَّائِفُونَ قَدْ نَالُوا الْأَمَانَا

مَقَامٌ حَفَّهُ الرَّحْمَنُ نُورًا ... وَشَرَّفَهُ وَأَعْلَى لَهُ الْمَكَانَا

وفي مقابل ذلك، يعرج الشاعر على المسجد النبوي الشريف مستدرًّا معاني السكينة والطمأنينة والقرب الروحي من الحبيب المصطفى ﷺ بقوله[1]:

وَبِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ النُّورُ يَبْدُو ... سَكِينَةَ أَنْفُسٍ طَابَتْ جِوَارَا

أَتَيْتُ الرَّوْضَةَ الْفَيْحَاءَ أَرْجُو ... مِنَ الْمُخْتَارِ صَفْحًا وَاعْتِذَارَا

فَأَكْرِمْ بِالْمَسَاجِدِ حِينَ تَزْهُو ... بِأَنْوَارِ الْهُدَى لَيْلًا نَهَارَا

[1] ابن الخلوف القسنطيني (أحمد بن محمد)، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (المعروف بديوان الإسلام)، تقديم وتحقيق وشرح: د. العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2002م، ص 285.

2.1.المكان التاريخي

إلى جانب المكان المقدس، يحتل المكان التاريخي مساحة واضحة في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، إذ يستحضر ابن الخلوف الأمكنة التي ارتبطت بالأحداث الكبرى في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، مثل بدر وأحد والخندق وغيرها من مواقع الغزوات. ولا يأتي هذا الاستحضار من باب التوثيق التاريخي فحسب، بل يوظفه الشاعر توظيفًا فنيًا يهدف إلى استحضار قيم الجهاد والصبر والثبات ونصرة الحق.

وتؤدي هذه الأمكنة وظيفة دلالية تتجاوز بعدها الجغرافي، إذ تتحول إلى رموز للبطولة والتضحية والانتصار، وتستدعي في وعي المتلقي صورًا راسخة من التاريخ الإسلامي، بما يعزز البعد الإيماني للقصيدة ويمنحها عمقًا تاريخيًا.

كما يسهم المكان التاريخي في ربط التجربة الشعرية بالموروث الإسلامي، فيستحضر الشاعر الماضي المجيد ليجعله حاضرًا في وجدان المتلقي، ويؤكد استمرارية القيم التي قامت عليها الرسالة الإسلامية. ومن ثم، يغدو المكان التاريخي عنصرًا فاعلًا في بناء الصورة المكانية، يجمع بين التوثيق التاريخي والتشكيل الفني، ويضفي على النص بعدًا حضاريًا يتجاوز حدود الوصف المباشر.

أولًا: بدر

تُعدُّ بدر من أبرز الأمكنة التاريخية التي استحضرها ابن الخلوف في ديوانه، لما تمثله من مكانة راسخة في الذاكرة الإسلامية؛ فهي موقع أول انتصار حاسم للمسلمين، وشاهد على تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه. ولذلك يرد ذكرها في القصائد مقرونًا بمعاني النصر والثبات والإيمان.

ومن شواهد استحضار الشاعر لهذا المكان التاريخي كرمز لانتصار الحق على الباطل بتأييد الملائكة قوله:

وَبِبَدْرٍ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ نَصْرٌ ... أَيَّدَ اللَّهُ بِالْمَلَائِكِ طَهَ

هُزِمَ الشِّرْكُ وَاسْتَنَارَ هُدَاهَا ... بَعْدَ أَنْ كَانَ دَاجِيًا سَوْدَاهَا[1]

ولا يستحضر الشاعر بدر بوصفها موقعًا جغرافيًا فحسب، بل يجعلها رمزًا لانتصار الحق على الباطل، وتجسيدًا للعون الإلهي الذي نزل بالمؤمنين في أحلك الظروف. ومن خلال هذا التوظيف، تتحول بدر إلى علامة دلالية تستثير في المتلقي مشاعر الاعتزاز بتاريخ الأمة الإسلامية، وتستدعي القيم التي قامت عليها الرسالة المحمدية.

كما يسهم حضور بدر في تعزيز البناء الفني للقصيدة؛ إذ يربط بين الماضي والحاضر، ويستدعي الحدث التاريخي ليمنحه بعدًا وجدانيًا داخل التجربة الشعرية. ومن ثم، يغدو المكان التاريخي وسيلة لإحياء الذاكرة الإسلامية، وتأكيد استمرارية قيم الإيمان والجهاد والصبر، التي تشكل أحد المرتكزات الأساسية في شعر المديح النبوي.

ثانيًا: أُحد

يحتل جبل أُحد مكانة متميزة في الوجدان الإسلامي، لما ارتبط به من أحداث غزوة أُحد وما حملته من دروس في الصبر والطاعة والثبات. وقد استثمر ابن الخلوف هذا المكان في ديوانه ليؤكد المعاني الإيمانية التي تجلت في تلك الواقعة، فجاء حضوره مرتبطًا بالعبرة والاتعاظ، إلى جانب الإشادة بمواقف النبي ﷺ وأصحابه. كقوله مستحضرًا ثبات المصطفى في هذا الفضاء الحاسم:

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، جنى الجنتين في مدح خير الفرقين، تحقيق: العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص 120.

وَأُحُدٌ يَا جَبَلًا نُحِبُّ وَيُرْجَى ... فِيهِ صَبْرٌ عَلَى الْبَلَاءِ عَظِيمُ

ثَبَتَ الْمُصْطَفَى بِهِ وَرِجَالٌ ... شَهِدُوا الْحَقَّ وَالْمَقَامُ كَرِيمُ [1]

ولا يقتصر توظيف أُحد على الإحالة إلى الحدث التاريخي، بل يتجاوزه إلى إبراز قيم التضحية والإخلاص والثبات أمام الشدائد، وهو ما يمنح المكان بعدًا رمزيًا يتجاوز حدوده الجغرافية. فكلما استحضر الشاعر أُحد، استحضر معه ما رسخته هذه الغزوة من معانٍ تربوية وعقدية بقيت حاضرة في الوعي الإسلامي.

ومن ثم، يغدو أُحد في النص الشعري رمزًا للابتلاء الذي يعقبه التمكين، وللثبات الذي يقود إلى النصر، بما يعزز الوظيفة الدلالية للمكان التاريخي، ويجعله عنصرًا فاعلًا في بناء الصورة الشعرية وإثراء أبعادها الدينية والوجدانية.

ثالثًا: غار حراء

يحضر غار حراء في المدائح النبوية بوصفه أحد أكثر الأمكنة ارتباطًا ببداية الرسالة المحمدية، فهو المكان الذي شهد نزول الوحي لأول مرة على النبي ﷺ، ولذلك اكتسب قداسة خاصة في الوجدان الإسلامي. وقد استثمر ابن الخلوف هذه الدلالة، فجعل من الغار رمزًا لانبثاق النور الإلهي وبداية الهداية التي غيّرت مجرى التاريخ. ويظهر ذلك في قوله:

حِرَاءٌ فِيهِ لِلتَّارِيخِ بَدْءٌ ... بَدَا لِلْعَالَمِينَ بِهِ الرَّشَادُ

مَقَامُ الْوَحْيِ أَنْقَذَنَا جَمِيعًا ... مِنَ الْإِشْرَاكِ إِذْ عَمَّ الْفَسَادُ [2]

ولا يقتصر حضور غار حراء في النص الشعري على استحضار واقعة تاريخية، بل يمتد ليؤدي وظيفة رمزية، إذ يغدو فضاءً للعزلة والتأمل والاصطفاء الإلهي، بما يعكس العلاقة الوثيقة بين المكان والحدث الديني المؤسس للإسلام. ومن خلال هذا التوظيف، تتحول صورة الغار إلى علامة على الطهر والصفاء والاستعداد لتلقي الوحي.

[1] المرجع نفسه، ص 132.
[2] المرجع نفسه، ص 145.

وهكذا، يسهم غار حراء في بناء الصورة المكانية ذات البعد العقدي، حيث يربط الشاعر بين قدسية المكان وعظمة الرسالة، فيغدو المكان شاهدًا على بداية النبوة، ورمزًا للهداية التي أشرقت منها أنوار الإسلام إلى العالمين.

3.المكان الأخروي

يشكل المكان الأخروي أحد أبرز الحقول المكانية في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، إذ يستمد حضوره من العقيدة الإسلامية وما تتضمنه من الإيمان بعالم الغيب. وقد استحضر ابن الخلوف أمكنة الآخرة، مثل الجنة، والنار، والصراط، والحوض، والقبر، ليجعل منها عناصر فاعلة في بناء التجربة الشعرية، وليؤكد من خلالها المعاني الإيمانية التي يقوم عليها المديح النبوي[1].

ولا ترد هذه الأمكنة بوصفها فضاءات غيبية مجردة، وإنما تكتسب حضورًا شعريًا مؤثرًا من خلال ما تثيره في نفس المتلقي من مشاعر الرجاء والخوف، والترغيب والترهيب. فالجنة ترمز إلى الفوز والنعيم الأبدي، والنار إلى العقاب والخسران، بينما يجسد الصراط والحوض والقبر محطات أساسية في رحلة الإنسان إلى الدار الآخرة.

ومن خلال هذا التوظيف، تتحول الأمكنة الأخروية إلى صور رمزية تسهم في تعميق البعد الديني للقصيدة، وتمنحها أثرًا وجدانيًا واضحًا، إذ تربط المتلقي بالمصير الأخروي، وتدعوه إلى التمسك بالقيم الدينية والاقتداء بالنبي ﷺ طلبًا للنجاة والفوز برضا الله تعالى.

[1] عبد الله حمادي، *دراسات في الأدب المغربي القديم*، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1986، ص164.

أولًا: الجنة

تحتل الجنة مكانة مركزية في الصورة المكانية بديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، إذ تمثل الغاية التي يتطلع إليها الشاعر، والجزاء الذي يرجوه للمؤمنين ومحبي الرسول ﷺ. ولذلك يتكرر ذكرها في سياقات الدعاء والرجاء والاستبشار، فتغدو رمزًا للنعيم الأبدي والرضوان الإلهي[1].

ومن تعبير الشاعر عن تطلعه لدار النعيم ببركة مدح الحبيب المصطفى قوله:

أَرْجُو الْجِنَانَ بِجَاهِ أَحْمَدَ شَافِعِي ... يَوْمَ الْحِسَابِ إِذَا الذُّنُوبُ تَزَايَدَتْ

دَارُ النَّعِيمِ لِمَنْ أَحَبَّ مُحَمَّدًا ... وَبِهَدْيِهِ كُلُّ النُّفُوسِ قَدِ اهْتَدَتْ[2]

ولا يكتفي ابن الخلوف بوصف الجنة باعتبارها مكانًا أخرويًا، بل يجعلها فضاءً تتجسد فيه معاني الرحمة الإلهية والفوز والطمأنينة، مستفيدًا من الصور القرآنية والحديثية التي رسمت ملامح نعيمها. وبذلك تكتسب الجنة في النص الشعري دلالة رمزية تتجاوز حدود الوصف إلى التعبير عن الأمل في النجاة وحسن الخاتمة.

كما ترتبط الجنة في الديوان بشفاعة الرسول ﷺ، إذ يصور الشاعر الفوز بها ثمرةً للإيمان ومحبة النبي والاقتداء به، وهو ما يعزز البعد العقدي للقصيدة، ويجعل المكان الأخروي وسيلة لترسيخ القيم الدينية في وجدان المتلقي.

ومن ثم، تؤدي صورة الجنة وظيفة جمالية ودلالية في آن واحد؛ فهي تسهم في بناء الإيقاع الوجداني للنص، وتمنح التجربة الشعرية بعدًا إيمانيًا يجعل المكان الأخروي أحد أهم مرتكزات الصورة المكانية في الديوان.

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، تحقيق: العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص175–176.

[2] المرجع نفسه، ص 176.

ثانيًا: النار

تمثل النار في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"** المقابل الدلالي للجنة، فهي ترمز إلى العذاب الإلهي وسوء المصير، ولذلك يستحضرها ابن الخلوف في سياقات الوعظ والترهيب، مستندًا إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من أوصاف لعذابها، بقصد التأثير في المتلقي وحثه على التمسك بالطاعة واجتناب المعصية.

ويتجلى هذا الرهاب الممتزج برجاء النجاة بفضل الجناب النبوي في قوله:

لَا تَكِلْنِي إِلَى لَهِيبِ جَهَنَّمْ ... يَا إِلَهِي فَقَدْ مَدَحْتُ الرَّسُولَا

كَيْفَ يُصْلَى بِنَارِهَا مَنْ تَغَنَّى ... بِثَنَاءِ الْهَادِي وَرَامَ الْقَبُولَا [1]

ولا يقف حضور النار عند حدود تصوير العقاب الأخروي، بل يؤدي وظيفة تربوية واضحة؛ إذ يجعلها الشاعر وسيلة لإثارة الخوف من الحساب، واستنهاض النفس للتوبة والإنابة إلى الله تعالى. كما ترتبط في كثير من المواضع بطلب الشفاعة من الرسول ﷺ، حيث يعبر الشاعر عن رجائه في النجاة من النار بفضل محبته للنبي والاقتداء به[2].

ومن الناحية الفنية، تسهم صورة النار في بناء التوازن الدلالي داخل القصيدة، إذ تقترن غالبًا بصورة الجنة، فتتشكل بينهما ثنائية الترغيب والترهيب التي تُعد من أبرز سمات الخطاب الديني. وبذلك يكتسب المكان الأخروي بعدًا نفسيًا مؤثرًا، يجمع بين الخوف والرجاء، ويعزز الرسالة الوعظية التي يقوم عليها شعر المديح النبوي.

ومن ثم، لا تظهر النار في الديوان بوصفها مكانًا للعقاب فحسب، بل بوصفها عنصرًا دلاليًا يسهم في ترسيخ القيم الإيمانية، ويؤكد أن النجاة منها لا تكون إلا بالإيمان والعمل الصالح، مع التعلق بمحبة الرسول ﷺ وطلب شفاعته.

[1] المرجع نفسه، ص 171.
[2] المرجع نفسه، ص 171..

ثالثًا: القبر والصراط والحوض

يحضر القبر والصراط والحوض في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"** بوصفها محطات أساسية في رحلة الإنسان إلى الدار الآخرة، وقد استثمرها ابن الخلوف في بناء صور شعرية تجمع بين البعد العقدي والتأثير الوجداني، مستندًا إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من الحديث عن هذه المشاهد الأخروية[1].

ومن شواهد رصد هذه المحطات الانتقالية والانعتاق من أهوالها عبر التوسل بالمقام النبوي قوله:

فِي الْقَبْرِ آنِسْ يَا إِلَهِي وَحْشَتِي ... وَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ثَبَاتِي

وَاسْقِ النُّفُوسَ مِنَ الْحَوْضِ شَرْبَةً ... مِنْ كَفِّ خَيْرِ الْخَلْقِ فِي الْعَرَصَاتِ[2]

ويظهر القبر في الديوان فضاءً يثير التأمل في المصير الإنساني، ويبعث على محاسبة النفس والاستعداد للقاء الله تعالى. ولذلك يقترن ذكره غالبًا بطلب الرحمة والمغفرة، والدعاء بحسن الخاتمة، مما يمنحه وظيفة وعظية وتربوية واضحة.

أما الصراط، فيمثل مرحلة الحسم بين النجاة والهلاك، فيستحضره الشاعر رمزًا للابتلاء والامتحان الأخروي، ويعبر من خلاله عن خوفه من الزلل، ورجائه في العبور الآمن بفضل رحمة الله تعالى وشفاعة رسوله ﷺ.

ويأتي الحوض بوصفه رمزًا للكرامة والنعيم، إذ يقترن بالنبي ﷺ وبشفاعته لأمته، فيصور الشاعر الورود عليه غاية يرجوها المؤمن، وعلامة على الفوز برضا الله تعالى. ومن ثم، يغدو الحوض فضاءً للأمل والرجاء، في مقابل ما يثيره القبر والصراط من رهبة وخشية.

[1] المرجع نفسه، ص 180.
[2] المرجع نفسه، ص 180.

وتتكامل هذه الأمكنة الأخروية في تشكيل صورة مكانية متماسكة، تجمع بين الترهيب والترغيب، والخوف والرجاء، وتسهم في تعميق الأثر الديني والوجداني للقصيدة، بما ينسجم مع طبيعة المديح النبوي وأهدافه العقدية والتربوية.

2.دلالات الصورة المكانية في ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"

لا يقتصر حضور المكان في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"** على الجانب الوصفي، وإنما يتجاوز ذلك إلى بناء منظومة دلالية متكاملة، تجعل من المكان عنصرًا أساسيًا في تشكيل الرؤية الشعرية. فالأمكنة التي يستحضرها ابن الخلوف لا تؤدي وظيفة الإطار الذي تجري فيه الأحداث فحسب، بل تتحول إلى علامات رمزية تحمل أبعادًا عقدية وتاريخية ونفسية وجمالية، تتفاعل فيما بينها لتنتج المعنى داخل النص.

وتنبع أهمية الصورة المكانية في الديوان من ارتباطها الوثيق بموضوع المديح النبوي؛ إذ تكتسب الأمكنة دلالتها من صلتها بالرسول ﷺ وبالسيرة النبوية، فتغدو وسيلة للتعبير عن المحبة والتعظيم والشوق، كما تسهم في ترسيخ القيم الإسلامية واستحضار الذاكرة الدينية في وجدان المتلقي[1].

ومن هذا المنطلق، تتوزع دلالات المكان في الديوان بين مستويات متعددة، أهمها: الدلالة الدينية، والدلالة التاريخية، والدلالة النفسية، والدلالة الجمالية، وهي مستويات تتداخل فيما بينها لتشكل البنية الدلالية للصورة المكانية، وتبرز خصوصية توظيفها في شعر ابن الخلوف القسنطيني.

[1] العربي دحو، *ابن الخلوف القسنطيني وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2008، ص72–73.

1.2.الدلالة الدينية

تُعد الدلالة الدينية أبرز الدلالات التي تقوم عليها الصورة المكانية في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"**، إذ ترتبط معظم الأمكنة الواردة فيه بالعقيدة الإسلامية والسيرة النبوية. فمكة المكرمة، والمدينة المنورة، وغار حراء، والمسجد الحرام، والمسجد النبوي، والجنة، والنار، والحوض، والصراط، جميعها أمكنة تستمد قيمتها من المرجعية الدينية، وهو ما يجعل حضورها يتجاوز البعد المكاني إلى البعد الإيماني.

وقد وظف ابن الخلوف هذه الأمكنة لتأكيد محبته للرسول ﷺ، وترسيخ معاني الإيمان والتقوى، واستحضار مشاهد السيرة النبوية والآخرة، فغدت الصورة المكانية وسيلة لإبراز قداسة الرسالة المحمدية، والدعوة إلى الاقتداء بالنبي ﷺ والتمسك بتعاليم الإسلام.

كما أسهم هذا التوظيف في إضفاء طابع تعبدي على القصيدة، حيث امتزج الوصف بالمناجاة، والتصوير بالدعاء، فصار المكان المقدس فضاءً تتجلى فيه معاني الرحمة والهداية والسكينة، بما يعكس عمق التجربة الدينية التي يقوم عليها شعر ابن الخلوف.

2.2.الدلالة التاريخية

إلى جانب بعدها الديني، تحمل الصورة المكانية في الديوان دلالة تاريخية واضحة، من خلال استحضار الأمكنة التي ارتبطت بمحطات بارزة في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، مثل بدر، وأحد، وغار حراء، ومكة، والمدينة.

ولا يهدف هذا الاستحضار إلى مجرد تسجيل الوقائع التاريخية، وإنما يسعى إلى إحياء الذاكرة الإسلامية وربط المتلقي بأحداثها الكبرى، بما تحمله من قيم الإيمان والجهاد والصبر والثبات. ومن ثم، تتحول الأمكنة التاريخية إلى شواهد حية على انتصارات المسلمين، وعلى المواقف الخالدة في حياة الرسول ﷺ وأصحابه[1].

[1] لعربي دحو، *ابن الخلوف القسنطيني وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2008، ص166–167.

وبذلك يؤدي المكان التاريخي وظيفة فنية ودلالية في آن واحد، إذ يجمع بين التوثيق والإيحاء، ويسهم في تعميق الرؤية الشعرية، وربط التجربة الوجدانية للشاعر بالموروث الإسلامي.

3.2.الدلالة النفسية

لا تقتصر الصورة المكانية في ديوان ابن الخلوف على التعبير عن الواقع الديني والتاريخي، بل تمتد إلى التعبير عن الحالة النفسية للشاعر، فتتحول الأمكنة إلى مرآة لمشاعره وأحاسيسه. فالأماكن المقدسة ترتبط بالشوق والحنين والسكينة، في حين تقترن أمكنة الآخرة بمشاعر الخوف والرجاء، أما أماكن الغزوات فتبعث معاني العزة والثبات[1].

ومن خلال هذا التفاعل بين المكان والانفعال النفسي، ينجح الشاعر في منح الصورة المكانية طاقة إيحائية كبيرة، تجعلها وسيلة للتعبير عن التجربة الوجدانية، وليس مجرد إطار للأحداث.

وهكذا يغدو المكان في الديوان عنصرًا نفسيًا فاعلًا، يعكس تقلبات الشعور بين الخوف والأمل، والحزن والطمأنينة، والشوق والرجاء، بما يضفي على النص عمقًا إنسانيًا وجماليًا.

4.2.الدلالة الجمالية

تؤدي الصورة المكانية في ديوان **»جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين** «وظيفة جمالية بارزة، إذ لا يقتصر حضور المكان على نقل المعنى، وإنما يسهم في بناء الصورة الشعرية وإثراء البنية الفنية للقصيدة. وقد اعتمد ابن الخلوف على وسائل بلاغية متنوعة، مثل التشبيه والاستعارة والكناية والتكرار، ليمنح المكان طاقة إيحائية تتجاوز دلالته المباشرة.

وتبرز القيمة الجمالية للمكان من خلال ما يخلقه من صور حية تستثير خيال المتلقي، وتمنح النص حيوية وحركة، كما أن تنوع الأمكنة بين المقدس والتاريخي والأخروي أسهم في تنويع المشاهد الشعرية وإضفاء الإيقاع والتوازن على البناء الفني للقصيدة.

---

[1] شهاب الدين ابن الخلوف القسنطيني، *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، تحقيق: العربي دحو، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004، ص86–87.

ومن ثم، أصبح المكان عنصرًا جماليًا فاعلًا، يجمع بين الوظيفة الفنية والوظيفة الدلالية، ويكشف عن قدرة الشاعر على توظيفه في خدمة التجربة الشعرية.

3.آليات بناء الصورة المكانية في ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"

تقوم الصورة المكانية في ديوان ابن الخلوف على مجموعة من الوسائل الفنية التي أسهمت في تشكيلها وإبراز أبعادها الدلالية والجمالية.[1] ولم يكتف الشاعر بذكر الأمكنة أو وصفها وصفًا مباشرًا، بل عمد إلى توظيف عدد من التقنيات البلاغية والأسلوبية التي جعلت المكان عنصرًا حيًا داخل النص، قادرًا على التعبير عن الرؤية الشعرية ونقل التجربة الوجدانية.

وقد تنوعت هذه الآليات بين التشبيه، والاستعارة، والرمز، والتكرار، والتناص مع القرآن الكريم والسيرة النبوية، الأمر الذي أكسب الصورة المكانية ثراءً فنيًا، وجعلها تتجاوز حدود الوصف إلى بناء دلالات متعددة تتناسب مع طبيعة المديح النبوي.

1.3. التشبيه والاستعارة في تشكيل المكان

اعتمد ابن الخلوف على التشبيه والاستعارة في بناء الصورة المكانية، فأسهمت هاتان الوسيلتان في نقل المكان من دلالته الحسية إلى دلالات رمزية ووجدانية. فالأماكن المقدسة لا تظهر بوصفها معالم جغرافية فحسب، وإنما تتحول إلى صور تنبض بالحياة، وتعكس مشاعر الشاعر وموقفه من الممدوح[2].

كما أسهمت الاستعارة في إضفاء الحركة على المكان، فجعلته يشارك في بناء المعنى، ويتفاعل مع التجربة الشعورية، وهو ما أكسب الصورة الشعرية بعدًا فنيًا واضحًا، وجعل المكان عنصرًا أساسيًا في تشكيل الرؤية الجمالية للديوان.

---

[1] العربي دحو، *ابن الخلوف القسنطيني وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2008، ص135.
[2] فايز الداية، *جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي*، ص38.

2.3.الرمز المكاني

يحتل الرمز المكاني مكانة بارزة في ديوان **»جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين«**، إذ تتجاوز الأمكنة حدودها الواقعية لتكتسب دلالات عقدية وروحية وجمالية. فلا تظهر مكة المكرمة والمدينة المنورة وغار حراء والجنة والنار باعتبارها مواقع جغرافية فحسب، بل تتحول إلى رموز تختزل منظومة من القيم الإسلامية المرتبطة بالإيمان والطاعة والنجاة[1].

وقد أسهم هذا التوظيف الرمزي في تعميق الصورة الشعرية، إذ أصبح المكان وسيلة للإيحاء أكثر منه وسيلة للوصف، فارتبطت الأمكنة المقدسة بمعاني الهداية والسكينة، في حين ارتبطت الأمكنة الأخروية بمشاعر الرجاء والخوف، وهو ما منح النص كثافة دلالية وجمالية واضحة.

ومن ثم، أدى الرمز المكاني دورًا أساسيًا في بناء التجربة الشعرية، إذ جعل المكان عنصرًا فاعلًا في إنتاج المعنى، وأسهم في إبراز البعد الروحي الذي يميز شعر ابن الخلوف في المديح النبوي.

3.3.التكرار وأثره في بناء الصورة المكانية

اعتمد ابن الخلوف على التكرار بوصفه وسيلة فنية لتوكيد حضور المكان وترسيخ دلالاته داخل النص الشعري. فقد تكرر ذكر عدد من الأمكنة المقدسة، مثل مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والحرم، والجنة، والحوض، بما يعكس أهميتها في البناء الدلالي للقصيدة.

ولا يؤدي التكرار وظيفة إيقاعية فحسب، بل يسهم في تعميق الأثر النفسي للصورة المكانية، إذ يرسخ هذه الأمكنة في ذهن المتلقي، ويؤكد ارتباطها بالمضامين العقدية والوجدانية التي يقوم عليها المديح النبوي[2].

وبذلك يصبح التكرار عنصرًا من عناصر التشكيل الفني، يسهم في تحقيق التماسك النصي، وإبراز مركزية المكان في التجربة الشعرية، وتعزيز البعد الجمالي للقصيدة.

---

[1] عبد الله حمادي، *دراسات في الأدب المغربي القديم*، ص164

[2] عبد الرحمن الوجي، *الإيقاع في الشعر العربي*، دار الحصاد، دمشق، ط1، 1989، ص17.

4.3.التناص مع القرآن الكريم والسيرة النبوية

يستند بناء الصورة المكانية في ديوان ابن الخلوف إلى حضور واضح للنصوص القرآنية وأحداث السيرة النبوية، حيث يستمد الشاعر كثيرًا من صوره وأمكنته من المرجعية الإسلامية. فالأماكن المقدسة، وأماكن الغزوات، ومشاهد الآخرة، جميعها تحضر في ضوء ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية.

وقد أسهم هذا التناص في إضفاء المصداقية والعمق الدلالي على الصورة الشعرية، إذ جعل المكان مرتبطًا بمرجعية دينية راسخة في وعي المتلقي، كما عزز الوظيفة الإقناعية والتأثيرية للقصيدة[1].

ومن ثم، فإن توظيف التناص لم يكن مجرد استدعاء للنصوص الدينية، وإنما جاء وسيلة فنية لبناء صورة مكانية تتداخل فيها الأبعاد العقدية والتاريخية والجمالية، بما ينسجم مع طبيعة المديح النبوي وخصوصية تجربة ابن الخلوف الشعرية.

[1] حياة معاش، "التناص القرآني في تائية ابن الخلوف القسنطيني"، *مجلة المخبر*، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 6، 2011، ص49.

خاتمة الفصل :

أظهر تحليل الصورة المكانية في ديوان **"جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"** أن المكان يمثل عنصرًا بنائيًا رئيسًا في تشكيل التجربة الشعرية عند ابن الخلوف القسنطيني، ولم يأت بوصفه إطارًا تجري فيه الأحداث، وإنما أدى وظائف دلالية وجمالية متعددة أسهمت في بناء المعنى وإثراء الخطاب الشعري.

وقد تبين أن الشاعر نوّع في توظيف الأمكنة بين المكان المقدس، والمكان التاريخي، والمكان الأخروي، فجعل من مكة المكرمة والمدينة المنورة وغار حراء والمسجدين الشريفين رموزًا للقداسة والهداية، كما استثمر أمكنة السيرة النبوية، مثل بدر وأحد، لإحياء الذاكرة الإسلامية وترسيخ قيم الإيمان والثبات، في حين جاءت أمكنة الآخرة، كالجنة والنار والقبر والصراط والحوض، معبرة عن ثنائية الرجاء والخوف التي تقوم عليها التجربة الدينية.

كما كشفت الدراسة أن الصورة المكانية في الديوان لم تقتصر على بعدها الديني، بل حملت دلالات تاريخية ونفسية وجمالية، وتجلت من خلال مجموعة من الآليات الفنية، في مقدمتها التشبيه والاستعارة والرمز والتكرار والتناص مع القرآن الكريم والسيرة النبوية، وهو ما منح المكان كثافة دلالية وجمالية، وجعله عنصرًا فاعلًا في تشكيل الرؤية الشعرية.

ويؤكد ذلك أن ابن الخلوف استطاع توظيف المكان توظيفًا فنيًا ينسجم مع طبيعة المديح النبوي، وأن يجعل منه وسيلة للتعبير عن محبته للرسول ﷺ، وترسيخ القيم الإسلامية، وإبراز الأبعاد الروحية والجمالية للنص الشعري، بما يعكس خصوصية تجربته الإبداعية في الشعر الديني المغاربي.

الخاتمة

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الموسومة بـ "جماليات الصورة المكانية في ديوان ابن الخلوف القسنطيني: دراسة تحليلية "موضوع الصورة المكانية بوصفها أحد العناصر الفنية الجوهرية في الشعر الديني عامة، والمديح النبوي خاصة. وقد سعت إلى الكشف عن أنماط حضور المكان في ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين"، وتحليل أبعاده الجمالية والدلالية، وبيان وظائفه الفنية في بناء التجربة الشعرية عند ابن الخلوف القسنطيني.

وقد انطلقت هذه الدراسة من إشكالية رئيسية تمحورت حول كيفية تشكل الصورة المكانية في الديوان، وطبيعة الدلالات التي تحملها، والآليات الفنية التي اعتمدها الشاعر في توظيفها. وقد أظهر التحليل التطبيقي أن المكان لم يرد في شعر ابن الخلوف بوصفه إطارًا جغرافيًا محايدًا، بل كان عنصرًا فاعلًا في تشكيل الرؤية الشعرية، وحاملًا لمعانٍ دينية وتاريخية ونفسية وجمالية.

وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

أولًا: تنوعت أنماط الصورة المكانية في ديوان "جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين "بين المكان المقدس، والمكان التاريخي، والمكان الأخروي، وهو ما يعكس ثراء التجربة الشعرية عند ابن الخلوف وقدرته على توظيف المكان بما يخدم أغراض المديح النبوي.

ثانيًا: احتلت الأمكنة المقدسة، مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة وغار حراء والمسجد الحرام والمسجد النبوي، مكانة بارزة في الديوان، حيث تجاوز حضورها البعد الجغرافي إلى دلالات روحية ورمزية مرتبطة بالقداسة والهداية ومحبة الرسول ﷺ.

ثالثًا: أسهم المكان التاريخي، من خلال استحضار مواقع السيرة النبوية مثل بدر وأحد، في إحياء الذاكرة الإسلامية، وربط النص الشعري بالقيم الدينية المتمثلة في الإيمان والصبر والثبات ونصرة الحق.

رابعًا: أدى المكان الأخروي، بما يشتمل عليه من صور الجنة والنار والقبر والصراط والحوض، وظيفة دلالية مهمة، إذ جسد ثنائية الخوف والرجاء، وأسهم في ترسيخ البعد العقدي والتربوي في القصيدة.

خامسًا: كشفت الدراسة أن الصورة المكانية تحمل أبعادًا متعددة؛ فهي دينية وتاريخية ونفسية وجمالية، إذ ارتبط المكان بالحالة الوجدانية للشاعر، فعبر عن مشاعر الشوق والحنين والطمأنينة والخشية والرجاء.

سادسًا: اعتمد ابن الخلوف في تشكيل الصورة المكانية على مجموعة من الوسائل الفنية، من أبرزها التشبيه والاستعارة والرمز والتكرار والتناص مع القرآن الكريم والسيرة النبوية، مما أكسب المكان قيمة إيحائية وجمالية داخل النص الشعري.

الخاتمة

سابعًا: أثبتت الدراسة أن المكان في ديوان ابن الخلوف ليس مجرد عنصر وصفي، بل يمثل مكونًا أساسيًا في بناء التجربة الشعرية، ووسيلة للتعبير عن المحبة النبوية وترسيخ القيم الدينية.

ثامنًا: بينت الدراسة قدرة الشاعر على الجمع بين المكان الواقعي ودلالاته الرمزية والروحية، وتحويل المعالم المكانية إلى صور شعرية ذات طاقة إيحائية تتجاوز حدود الوصف المباشر.

أما عن الصعوبات التي واجهت إنجاز هذه الدراسة، فقد تمثلت أساسًا في قلة الدراسات السابقة المتخصصة حول ابن الخلوف القسنطيني، مما جعل الاعتماد الأكبر على التحليل المباشر للنصوص الشعرية، إضافة إلى صعوبة تحقيق بعض الشواهد الشعرية بسبب اختلاف الروايات والمصادر.

وفي ضوء هذه النتائج، يمكن تقديم مجموعة من التوصيات، من أبرزها: الدعوة إلى مزيد من الدراسات حول شعر ابن الخلوف القسنطيني، والاهتمام بالشعر الديني المغاربي بوصفه مجالًا خصبًا للبحث، ودراسة الجوانب الإيقاعية والأسلوبية في الديوان، مع إمكانية توظيف المناهج النقدية الحديثة للكشف عن جوانب أخرى من تجربته الشعرية.

وفي الختام، فإن هذه الدراسة تمثل محاولة للكشف عن جماليات الصورة المكانية في ديوان ابن الخلوف القسنطيني، وإبراز الدور الذي أداه المكان في بناء تجربته الشعرية، بما يؤكد أهمية هذا العنصر في شعر المديح النبوي عامة والشعر الديني المغاربي خاصة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا: المصادر

- ابن الخلوف القسنطيني، شهاب الدين، *جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين (ديوان الإسلام)*، تحقيق: العربي دحو، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2004 .
- القرآن الكريم .

ثانيًا: المعاجم

- ابن فارس، أحمد بن زكريا، *معجم مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979 .
- ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ/1994م .
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990 .

ثالثًا: المراجع العربية

- أبو هيف، عبد الله، "جماليات المكان في النقد الأدبي العربي المعاصر"، *مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية*، مج27، ع1، 2005، ص121-138 .
- أبو القاسم سعد الله، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998 .
- إبراهيم خفاجي، *الشعر الديني في العصر المملوكي*، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1966 .

قائمة المصادر والمراجع

- الوجي، عبد الرحمن، *الإيقاع في الشعر العربي*، دار الحصاد، دمشق، ط1، 1989 .
- الداية، فايز، *جماليات الأسلوب: الصورة الفنية في الأدب العربي* .
- حمادي، عبد الله، *دراسات في الأدب المغربي القديم*، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1986 .
- دحو، العربي، *ابن الخلوف القسنطيني وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2008 .
- سعد الله، أبو القاسم، *تاريخ الجزائر الثقافي*، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998 .
- صلاح فضل، *بلاغة الخطاب وعلم النص*، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، القاهرة، ط1، 1992 .
- صلاح فضل، *بلاغة المكان* .
- عبد الملك مرتاض، *في نظرية الشعرية*، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985 .
- عياش، كمال، *المكان في الشعر العربي*، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 .
- بوعزة، محمد، "توظيف المكان في المديح النبوي"، *مجلة اللغة العربية وآدابها*، جامعة قسنطينة، العدد 12، 2010 .
- معاش، حياة، "التناص القرآني في تائية ابن الخلوف القسنطيني"، *مجلة المخبر*، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 6، 2011 .
- عطية، محمود، "الإسراء والمعراج في الشعر الصوفي"، *مجلة كلية الآداب*، جامعة القاهرة، العدد 45، 2008 .

رابعًا: المراجع الأجنبية

- Bachelard, Gaston, *La Poétique de l'espace*, Paris: Presses Universitaires de France, 1957.
- Corbin, Henry, *L'Imagination créatrice dans le soufisme d'Ibn 'Arabî*, Paris: Flammarion, 1958.
- Buttimer, Anne, "Time, Space, and the World of the Life", *Geographical Review*, Vol. 8, No. 4, 1979.